Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

وزارة الثقافة والإعلام
مديرية الثقافة العامة

سلسلة القصة والمسرحية
٧

عندما تكون الحياة رخيصة

تأليف

أدمون صبري

وزارة الثقافة والإعلام
مديرية الثقافة العامة

سلسلة القصة والمسرحية
٧

عندما تكون الحياة رخيصة

تأليف

أدمون صبري

PJ
7677
.I7
م
7

المؤسسة العامة للصحافة والطباعة
دار الجمهورية ـ بغداد
١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م

عندما تكون الحياة رخيصة

في خريف العام الماضي وقع في هذه المدينة حادث مثير من تلك الحوادث التي تحرك العواطف وتستفز الاعصاب ، وتحظى باهتمام الناس حتى اولئك البعيدين عن الاهتمام بأية قضية كانت • والحادث هو ان سيارة نقل عمومية كانت شبه فارغة تقطع طريقا خاليا في ظاهر المدينة يبعد عن بغداد نحو ثلاثة أميال • تصدى لها شقي من الشقاة ، فأوقفها باشارة من يده بذريعة أنه يريد أن يركب فيها ، ولما صار بداخلها أشهر مسدسه على الجابي يريد سلب ما معه من مال ولم يكن الجابي من الضعف والخوف بحيث يسمح لنفسه ان يكون في قبضة شقي قاطع طرق ، فنشب عراك بين الاثنين، واذ شعر السائق بما يحدث في السيارة اوقفها ونزل مهرولا لمساعدة زميله الجابي ، وقبل أن يوفق الى فعل أي شيء انطلقت رصاصة أصابت صدر الجابي في مكان القلب فخر صريعا ينزف منه الدم ولاذ الشقي بالفرار، فتعقبه السائق وهو يكاد يكون مخبولا ، تعقبه مسافة كبيرة وهو يصرخ باعلى صوته مكررا النداء في هياج « اقبضوا عليه انه قتل جابي السيارة » •

كان المكان مقفرا والعتمة قد نشرت اجنحتها وليس ثمة مخلوق يمكن أن يسمع صراخه ، واذ خشي الشقي أن تمتد ملاحقة السائق الى موضع مأهول فيسهل القبض عليه ، وقف واستدار وصوب اليه المسدس قائلا في حزم لا ريب فيه « عد الى السيارة والا قتلتك » ، ولم يكتف بهذا

التحذير بل اطلق طلقة اخرى احس بها السائق وهى تخترق الفضاء فوق رأسه مباشرة ولكنها لم تصبه بأذى .

عاد السائق الى السيارة وهو يرتجف هلعا من هول ما وقع له . ألقى نظرة على الجابى فوجده جثة هامدة يلطخه الدم . تمتم في أسف « لقد فارق الحياة » كان الجرح واسعا والاصابة بليغة وقد ظهر على محياه شحوب شمعى اللون وانفغر فمه وخمدت كل حركة فى جسده . ساق السيارة الى مركز الشرطة وابلغ بالحادث ثم سرى النبأ الى الصحف فكتبت التعليقات والتفاصيل ونشرت الصور .. وما هى الا ايام حتى كان الحادث مدار حديث المدينة كلها . كان الناس يقرأون هذه العناوين « أحد الجباة تصرعه رصاصة شقي ، مصرع جابي ، مقتل أحد الجباة ، جريمة مروعة يذهب ضحيتها جابي » ونشرت صورة الجابي وهي صورة قديمة غامضة الملامح شأن الصور التى تؤخذ على وجه الاستعجال . وذكر أنه متزوج وله أطفال وان عائلته بائسة لا معيل لها سواه . وتناقلت المجالس هذه التفاصيل دون أن تكتم حزنها على الجابي المسكين ودون أن تصب لعنتها على الشقي القاتل .. اما السائق الذى نجا من رصاصة الشقى باعجوبة فقد كان له شأن آخر مع اهله ومعارفه ، فقد نظر اليه باعتباره كغريق اعيدت اليه الحياة أو مقاتل عاد سليما من حرب ضروس مهلكة، فصار يتلقى التهاني والتبريكات على سلامته ويشير اليه الناس ، هامسا بعضهم فى اذن بعض انه السائق الذى كتبت له السلامة واذ ما سئل عن الحادث رواه في تفجع ضافيا عليه لونا دراميكيا يثير العجب والاعجاب، وقامت زوجته بصنع الحلويات وتوزيعها على الجيران كما وزعت بعض الصدقات الصغيرة للفقراء والشحاذين .

اما الموجة التى تتعلق بموضوع الجابي فقد ارعدت وازبدت وتجاوزت كل حدود ، فالصحافة أطنبت وأسهبت ، سطرت عباراتها الحاملة معاني الاشفاق والرحمة بالعائلة المنكوبة المحطمة . وتبع هذا سيل من التبرعات قدمها المحسنون بلغت نحو الف وخمسمائة دينار ، ثم تفضلت الحكومة

فاهـدت دارا لعائلة الجـابي القتيـل وتفضلت مديرية صندوق التقـاعد فخصصت راتبا تقاعديا للعائلة يبلغ نحـو خمسة عشر دينارا في الشهر ، رغم أنـه لم يخـدم خمسة عشـر سنة كمـا هـو معروف في القـانون ولكن الرحمـة اذا انهمرت انهمرت حتـى الغرق ، وكأن مقتلـه طامة الطامات ومرتكز الفواجع وكأن لم يقتل من قبل انسان •

كل هـذه الخيرات هطلت على عائلـة الجابي فأمنت معيشتها وأمنت مبلغا حسنا من مال لا ينفـد حتى يبلغ أصغر أطفالها مبلغ الرجال ، أما الشقي الاثيم فقـد وقع في قبضـة البوليس بعد ثلاثـة أيام من الحادث وذلك بمعـاونة السائق وهو الشاهد الوحيـد في الجريمة ، استطاع أن يشخص القاتل من بين مئات الرجال المشبوه بهم • أمسك به من ياقـة سترته وهتف في غيظ « هـو ذا القاتل بلحمه ودمـه •• هو نفسه » وراح يتأمل طوله ويحد البصر الى ملامحه ويتسمع صوته فذكره بذلك الصوت الجهير الذي أطلقه مهددا « عد والا قتلتك » والعادة ان المجرم عندما يقع في قبضـة البوليس تتغير حاله وتتلاشى شوكته ويفقد اتزانـه وصلابته • فراح يلغط ويتوسل ويذرف الدموع انه برىء ولا علم لـه بالحادث مطلقا ومن أجل ذلك صار يقسم أغلظ الايمان ولكن تأكيدات السائق لم تدع مجالا لاى شك • فاستاقوه مكبل اليدين وما هـي الا محاورات ومداورات حتى تجلت الحقيقة فاذا هـو القاتل ولا سـواه • وكانت فرصة طيبـة للصحافة فقد نشرت صورتـه باعتباره مجرما شـقيا قاطع طريق فتك بالجابي ودمر عائلتـه بأسرها وظهر من سير التحقيق انه متزوج منذ وقت قريب وله ابن واحد يبلغ من العمر أربعة وعشرين يوما وبطبيعة الحال لم تكن أخبار عائلته موضع اهتمام أحد •

•• وبعد أربعـة أشهر من وقوع الحادث وقـد أوشك أثره أن يمحى في الاذهان ، دخلت عائلة ثالثة في مسرح جريمـة مقتل الجابى • بعد أربعة أشهر وقع حادث طفيف آخر من الحوادث المألوفة وهو ان أحد السواق وهو السائق نفسـه دهس صبيا وقتله فالقى القبض عليـه

وأوقف وأشارت الصحف الى الحادث في عمود طويل فيه نحو ستة دهوس وستة سواق موقوفين وستة ضحايا بين جرحى وأموات .. وكانت جريمة من غير ريب لها عقوبة منصوص عليها في القانون . فقدم الى المحاكمة وحكم عليه بالسجن لمدة سنة واحدة وبتعويض يدفع لوالدي الصبي مقداره ثلاثمائة دينار . وتبع صدور هذا الحكم الامر بفصله من عمله كما استولى والدا الصبي على مكافأته وتبلغ نحو ثلاثمائة دينار . فما هي الا أشهر حتى نزلت بالسائق فاجعة هزت أركان حياته هزا ، ودمرته أقسى تدمير وحطمته شر تحطيم ، فهو سجين وهو مفلس وهو مفصول من عمله وهو نكرة بائس لم تتحرك شفة واحدة بالحديث عنه .

.. مرت عليه الاشهر وهو في محبسه المغلق الكئيب وحالته تزداد سوءا على سوء ، وقد وفدت عليه عائلته عدة مرات وفي كل مرة يسمع أخبارها الحزينة المؤسفة فيمضه الالم والاسى ، فالعائلة توشك أن تبيع ما لديها من أثاث وفرش وهي توشك أن تغادر الدار التي تسكنها لتلوذ بمكان آخر يخفف عنها الايجار وان أولاده تأخروا في دراستهم وبعضهم أتى بدرجات واطئة تؤذن برسوبهم في آخر العام والزوجة صارت تفقد شيئا بعد شيء كرامتها ومكانتها بين أهلها وأصحابها وانها في الدرك الاسفل من البؤس . ويتأمل السائق نفسه فلا يقوى الا على الحسرة واللوعة . لم يبادر أحد الى معونته ولم يسعفه انسان بكلمة طيبة ولم يذكره ذاكر كأن لم يخلق ولم يمش على الارض . وصارت ذكرى الجابي الذي شهد مصرعه تغزو ذهنه فيقف عندها متأملا حاله وحال الجابي ذاك .. حقا ان الجابي قد مات ولكن عائلته تعيش في رخاء وبحبوحة وبسطة حال ، وانه لم يمت وليته قد مات معه وأمنت عائلته تقاعدا وهبات ودارا .. كان من المفروض ومن المعقول والثابت أن تحرز عائلته مثلما أحرزت عائلة الجابي .. هذه الفكرة احتفرت دروبا في ذهنه زادتها الايام وضوحا ورسوخا ، فالغلطة الكبرى انه لم يقتل مع الجابي وكان السبب هو الشقي نفسه الذي لم يكن من الجرأة

والحزم بحيث يجهز على رجلين في مغامرة واحدة ، وكان من الغبا والحماقة أن أبقى الشاهد الوحيد على جريمته حيا والا لانطمست الجريمة وتلاشت آثارها .

في داخل السجن صار السائق يتحرى عن الشقى ويستقصى عن مكانه في الخفاء ودون أن يثير شكوك أحد ، فقيل له انه في قسم المجرمين الشقاة وأرباب السوابق والقتلة واولئك الذين تصل عقوباتهم الى الاعدام ولا يمكن الالتقاء بهم الا في الساحة العامة وخلال ساعات قليلة من النهار ، فقام في نفسه هوس لالقاء نظرة عليه ومعاتبته وسبه اذا اقتضى الحال . ولاجل أن يأمن شرور هذا اللقاء تسلح بسكين حادة النصل أخفاها في ثيابه .. ومرتين أو ثلاث مرات رآه رأى العين على مبعدة يسيرة من خلال الابواب المقضبة . رآه يروح ويغدو كرجل قد استوفى حقه من الحياة وأدرك ما يتمناه حتى وان يكون سجينا .. كان ربعة في الطول نحيفا خفيفا لين الاعطاف سريع الالتفاف بارعا في الوثب والهجوم وكان له شاربان أسودان كثيفان لا يناسبان وجهه الضامر المتعظم ، ولعل هذين الشاربين بدعة من بدع المسجونين لاجيال طويلة، ولم يقدح السائق على تغيير ذى شأن في هيكله اذ يستطيع أن يميزه وان اختلط بمئة أو مئتين من المساجين . وكان قد بلغ الشقي داخل السجن ان السائق الذي شهد عليه وكان السبب في سجنه قد سجن هو أيضا بسبب من دهسه صبيا ، فارتاح لهذا النبأ وهو جزء من ثأر يضمره له تجلت الان دواعيه وسبله . كأن ثمة كراهية تعتمل في نفسه وجدت الان منطلقها للرجل الذي دمره ..

كان الكره متبادلا وروح الشر متبادلة ونية القتل مبيتة لدى السجينين ولكن الشقى لم يتسلح بأى سلاح فالرقابة مضروبة عليه والتفتيش يجري عليه كل ساعة بسبب من خطورته وجسامة جريمته ، الا انه يملك قوة وخفة ورباطة جأش تعوض له عن كل سلاح ..

وذات يوم كان الشقي منحنيا الى حنفية الماء يبلل يديه ووجهه

وكان الجو قائظا يسيل العرق .. تسلل اليه السائق من ورائه وتقدم تقدم القط الحذر . كان ضخما حسن البنية ثقيل الخطو تثقله أربعون من الاعوام ، ينتعل مشاية عتيقة أتى بها من بيته ، يجرها في خفة مصطنعة .. انقض على خصمه وعدوه وما أن أحس الشقى ان ثمة يدا تريد مسه حتى وثب وثبة جعلته بعيدا بضعة أقدام ، استل السائق سكينا يهدد بها وهو ناشر يديه ومنحني الى الارض بينما تأهب الشقي بيديه الفارغتين المتحفزتين . غمغم السائق في مرارة .. «قتلت الجابي فنالت عائلته دارا وتقاعدا وألفا وخمسمائة من الدنانير وأنا هنا معدم وعائلتى تموت جوعا » . فأجابه الشقي « وماذا كنت تريد ؟.. » فأجاب السائق « كان يجب أن تقتلني ، تقتلني أنا لا أن تهددني بطلقة طائشة .. كنت أريد لعائلتي أن تعيش في رخاء وراحة .. أنت كنت السبب ، والحقيقة ان الشقي ذهل لهذا التخريج الذي أتى به السائق .. فغريب جدا أن يأسف انسان لانه لم يمت .. فسأله « ومن شهد علي وبعث بي الى السجن وكبلني بالحديد .. ان الجريمة كانت مطموسة وغامضة وكنت أنا اليوم في بيتي بين زوجتي وابني ، أنت شهدت علي وأوقعتني في الفخ » ، هجم على خصمه رغم تسلحه بالسكين فقد كان واثقا من منازلته وصرعه ، واشتبك الاثنان في صراع مميت حاد شرس لا يفصل بين موت أحدهما أو موت الاخر الا برهة من زمن . صاح الشقي في هياج « سأميتك الساعة ان لم تمت ذلك اليوم » وطال اشتباكهما حتى لفت اليه الانظار فخف اليهما بعض المساجين وأبعدوا بينهما .. ومنذ ذلك اليوم لم يقع نظر أحدهما على الاخر ، فقد وضع كل منهما في مكان بعيد .

مقام مولانا في عيد الميلاد

قبل أن تبادر روز الى معايدة زوجها دانيال في صبيحة عيد الميلاد قالت له في جرس تحذير ـ ينبغي أن تفكر ما الذي ستفعله بعد انقضاء عيد الميلاد ـ فبهت دانيال وسأل في فزع :

ـ ماذا جرى لك يا عزيزتي ؟

ـ لا عمل بعد العيد • بالامس أعطوني اجرتي وسرحوني على أن لا أعود اليهم مرة اخرى •

كانت مظاهر عيد الميلاد على أقلها في غرفة الزوجين ان لم تكن معدومة وكل ما فعلته روز هو انها نشرت حبلا كهربائيا تتدلى منه بضعة مصابيح خضراء وحمراء وزرقاء مع أوراق مذهبة احتفظت بها للمناسبة وكم كانت تتمنى لو اسعدها الحظ وغرست شجرة الميلاد وأوفت هذا العيد حقه من التكريم ، ولكن المال يصنع العجائب •

كانت روز تشتغل في معمل لتجهيز فساتين الاطفال وهو معمل ليس بالكبير كما انه ليس معملا بالمعنى المألوف • فهو بيت شبه متهدم فيه غرفتان داخليتان تنضح جدرانهما بالرطوبة ، تناضل الشمس اثنتى عشرة ساعة في سبيل ان تنفذ اليهما ساعة واحدة ، بينما يعقد معلمها وهو استاذ خياطة أصلع عجوز في غرفة صغيرة مجاورة للباب مجهزة بمدفأة وسجادة ومنضدة صغيرة أنيقة ذات جوارير وعلى نافذتيها ستائر من الكريب البني • كانت تتقاضى نحو عشرين دينارا في الشهر لقاء اشتغالها

عشر ساعات في اليوم ، وكانت نعمة وبركة تبعد عنهما شبح العوز .

سأل دانيال في دهشة . « ما باله ؟ »

كان يحسب دانيال ان معلمها هذا من الطراز القديم المحافظ على أنظمة العمل ولا يمكن أن يسرح روز بأية حال ولكن يبدو أن الموجة العاتية شرعت تزعزع أمتن الاشجار .

قالت روز بأسف « هو أيضا مثل سواه كنت احسب انه سيدفع اجرتي باستمرار حتى ولو اقتطعها من مصروفه وسكائره . انه يدخن الروثمان ذلك الثعلب العجوز الاصلع » .

ـ « ما السبب يا عزيزتي روز » سأل دانيال وعلى وجهه مرتسم استفسار كبير وكأنه يقول لم كل هذا الظلم الفادح .

تنهدت روز وتمتمت :

ـ تكدس عندنا عدد وفير من الفساتين وقد رفض المتعهد استلام بعضها وكنا نأمل بيعها قبل حلول العيد وها هو ذا العيد قد حل دون ان نبيع ما يسد مصروفنا .

طاف خاطر دانيال في الحال الى النقاط السوداء البارزة فى تأريخ حياته ، انه ما يفتأ يقول ان تسعة أعشار محاولاتي تبوء بالفشل والعشر الاخير يتعثر ولا ينتهي الى شيء ذى قيمة . كان يدخن في الايام الفائتة ، يدخن لان روز تشتغل وكانت علبة السكائر في جيبه من دواعي سروره وارتياحه ، وكان يكره أن يحرم من هذه النعمة ، يحرم منها لان روز عاطلة . والحق انه لا يدري الام ينسب عطالته ، هل هو سوء حظ أم شح الاعمال . فان كان سوء حظ فليس من الجائز أن يستمر هذا السوء في دورانه ونشاطه عاما كاملا وان كان شح الاعمال فالآخرون من حوله يشتغلون ويكسبون ، وان كانت العطالة تعود الى كليهما فليس من يدري الام يستمر هذا التحالف المشؤوم .

وبعد أن جلس هنيهة خطر له أن يقوم هو بمعايدة روز فقد تكون متألمة ولربما نسيت انه صباح عيد الميلاد فالآلام أحيانا تسلب المرء

ذاكرته وكل ما هو ضرورى ليعلمه ويقوله : قال في ملاطفة وتطيب خاطر :

- عزيزتي روز ينبغي أن اعايدك • انه صباح عيد الميلاد •

صوبت روز اليه أنظارها ورفعت حاجبيها وكأنها تستذكر حادثا ما قالت في ذهول :

- حقا انه صباح عيد الميلاد • ولكنني نسيت أن أعايدك يا عزيزي فقد كان هذا من واجبي منذ أن تزوجنا •

- لا بأس في ذلك يا روز أنت منشغلة وأفكارك متطايرة في رأسك ومع ذلك يجب أن أبادر الى معايدتك هذه السنة»•• نهض دانيال عن كرسيه في حزم وفرك يديه وأدناهما الى المدفأة وامارات الحب والاشفاق قد بدت جلية على محياه • تقدم نحو روز التي التزمت كرسيها من غير حراك حتى أحاط دانيال رأسها بذراعيه ورفع وجهها نحو السقف فانفرجت شفتاها السمينتان وكانتا حمراوين شهيتين فضغط عليهما دانيال بشفتيه المتيبستين فسرت لذة التقبيل الى كيانه كله ، ولسبب ما أحست روز ان قبلاته لم تكن لمجرد المعايدة بل للتعبير عن حب مشبوب جديد لم تعهده فيه من قبل •ولما انتهى من قبلاته تراجع الى مكانه وهو يرف بشفتيه وكأن عليهما أثر من دبق أو حلاوة قال دانيال في نفسه « انني لم أشعر قبل اليوم ان قبلة روز لذيذة الى هذا الحد» كان شعرها في غاية الجمال وان كان مبعثرا تبعثرا غير مقصود وكانت ياقة فستانها على هيئة قوس مدبب في الوسط حيث يقع صدرها الناهد العريض • سأل فجأة :

- روز ما رأيك بذلك المعلم العجوز ؟•• تبا له فقد سرحك من غير ما سبب •

- « أجل تبا له ألف مرة » هتفت محتدمة

- هل له زوجة ؟

- زوجة جميلة تساوي حياته كلها وحياة كل مافي اسرته من بشر•• تمتم دانيال « هذا حسن ليلهو مع زوجته اذا شاء فالمعلمون حاذقون في

استخدام العاملات الجميلات أمثالك يا روز» فأردفت روز في حدة « ويعرفون كيف يسرحوهن عند اللزوم » .

كان دانيال يخشى أن تقع زوجته في غرام معلم من معلمي الخياطة الذين تعمل معهم أو أن يقع معلم في غرامها هي، فالغرام يأتي يميناً ويأتي شمالا وأحيانا يأتي من اليمين والشمال . وكلما عملت روز في محل جديد استبد به القلق . يستفسر عن شخصية المعلم هل هو جميل وشاب وأعزب . هل هو مبذر متلاف يتناول المسكرات . هذه الخصال مجتمعة أو منفردة حادة أو باهتة تكون شخصية المعلم وميوله وأخلاقه ولكن حتى هذا اليوم لم تعثر روز على أحد من هؤلاء ، فهي أبدا صامدة متصلبة تقاوم التحرشات والايماءات في لباقة وحذر وذكاء .

ارتدى دانيال ملابسه . كانت كلها نظيفة حسنة المظهر قدعنيت روز بتنظيفها وكويها وكان السروال والقميص جديدين فقد ابتاعت روز قماشيهما وكلفت معلمها الاصلع أن يفصلهما فقط ثم تولت هي خياطتهما ببراعة وهكذا وفرت شيئا من مال وحافظت على سلامة مظهر دانيال ، أما السترة فكانت أنيقة أيضا وان لم تكن جديدة فقد نعمت من قبل بركوب كتفين غير كتفي دانيال وكانت زيتونية اللون بارزة الجيوب محلاة بثلاثة أزرار ، وحتى الحذاء كان رائعا مدهونا قائما على كعب مستو من غير تأكل واعوجاج أتت به روز من مكان لم تشأ الافصاح عنه .

تأملته روز بأعجاب وقالت : « لك مظهر الكاسبين العاملين »ثم تنهدت وأردفت « عسى أن تكون للاله حكمة في هذا كله » .

فشكرها دانيال في عرفان جميل .

ـ ذلك بفضلك يا روز أنت تعتنين بي خير عناية وذلك فوق ما أستحق . فكل ملابسي من كدك وأتعابك وهي نظيفة بفضل يديك .

واذ لاحظت روز ان دانيال قد بالغ في التواضع واللطف قالت في تأكيد :

ـ أرى ليس ثمة مناص من الاشتغال مع جورج .

كان جورج هذا في نظر دانيال دبا بشريا شرها مولعا بالنساء ولوع القردة في التهام جوز الهند، وهو شاب أسمر البشرة كثيف شعر الرأس والوجه له عينان تنضحان مكرا ودهاء وهو بالاضافة غير متزوج يحتسي البيرة بكميات وفيرة ويدخن أنفس السكائر وفي معمله تلفون هو معقد الشرور من غير ريب فلا يرن الا على مغازلة أو ضرب المواعيد أو ارسال الكلمات الناعمة وكأنها زغب طائر وديع محبوب .

كان دانيال يكرهه ويخشاه ويرى فيه بذرة ناضجة من بذور الشر الذي يفسد حياة الناس من حيث لا يدري به أحد .

ولكن دانيال لايدري متى تم هذا الاتفاق وكيف تم . هل تم بالشكل المألوف أو ان جورج سعى الى روز واستدرجها الى العمل معه، ان الذي يعرفه بما يشبه اليقين ان روز ليست شرسة ولا وقحة ولا تنفعل بسرعة شأن النساء الحمقاوات المتهيجات ، فكل الامور تنظر اليها نظرة تمعن وتفحص وتنتهي الى نتائج طيبة .

قال دانيال ناصحا : « تريثي قليلا يا عزيزتي فليس جورج بالانسان الصالح المحترم » .

هتفت روز مؤكدة ـ حيوان أرعن .. أنا أبتغي كسب معيشتي ليس غير ، ماذا يهمني من الاعيبه .

ـ أخشى أن يضايقك .

ـ لدي وسائل تأديب .

هز دانيال كتفيه معبرا عن اقتناعه ومط شفتيه في انكار .

كان يعلم ان زوجته أضعف من ان تروض وحشا مثل جورج وهي أشبه بفرخة ناعمة الريش لا يعرف وجهها غير الابتسام ولا يعرف لسانها غير اللطف والطيبة فلن تستطيع الفكاك من مخالب دب كبير مثل جورج.

تقدم نحو الباب وهو يقول « على أية حال ياروز انني ذاهب لمعايدة ابن عمي انطوان وهو كما تعلمين رجل وجيه وله معارف ، وبمناسبة عيد الميلاد سوف يفد عليه تجار ، وأعيان وأ باب مصالح ، وانني سوف أتحين

الفرص وأتعلق بسترة أحدهم وأرجوه أن يضعني في عمل ما ، فان وفقت في مسعاي منعتك من رؤية جورج أو بالاحرى وفرت عليك القرف الذي تشعرينه من رؤيتـه • »

هتفت روز « هذا تدبير حسن • انني اباركك مسعاك منذ اللحظة•• اذهب يا عزيزي وتعلق بأية سترة تشاء ، وان أفلحت فلن أذهب الى جورج والى غير جورج وسأكون في البيت أطهو لك الطعـام وأكوي ملابسك وأربت على ظهرك عندما يداهم النعاس جفنيك •• تعال ياعزيزي لاباركك بقبلة » فاندفعت اليه باشتياق وأمطرته بوابل من القبلات حارة دبقة وكأنها البخار •

* * *

لقى في بيت ابن عمـه انطوان عددا من الوجهاء كما توقع دانيال ، ولا عجب فهو موظف في دائرة الصحة العامة سلخ من عمره ربع قرن على كرسي رسمي يقتعد عليه ست ساعات في اليوم الواحد • كانت لـه صداقات وعلاقات مع تجار وموظفين ، وكل ما يمتاز به عن سواه هو انه بفضل ذكائه وسعة علمه ولطفه وكرمه استطاع أن يمد حباله الى اناس أعلى منه مرتبة ودرجة ويعقد معهم صداقات متينة لا يستهان بها وكان من شأن ابن عمه هذا أن يبادر الى القول كلما جاء ذكر وزير أو مدير أو سفير أو ملاك أو تاجر •

« أعرفه جيدا كان ذات يوم كذا وكـذا وفي مناسبة كـذا وكـذا وقعدنا سوية في مكان كذا وكذا » وكان ذكر أمثال هذه الشخصيات في حضرة دانيال أشبه بذكر سلاطين آل عثمان • والى جانب كل ذلك كان ابن عمه شخصية من شخصيات الكنيسة ، فهو شماس ومرتل وحافظ أدعية يتمتع بصوت رخيم يطلقه في أرجاء الكنيسة فيخلب به الالباب ، كما انـه عضو جمعية الاحسان ومحاسب لهذه الجمعية •

كان عددالضيوف خمسة ،متكئين على آرائك مريحة يدخنون سيكائر ثمينة يعرف دانيال بعضها حق المعرفة ويجهل البعض الاخر حق الجهل•

كان ثمة علبة حمراء كأنها مغسولة بالدم مرسوم على وجهها سيف مع حمالة . استأثرت هذه العلبة باهتمام دانيال فبادر ابن عمه وقدم له واحدة فتلذذ بعبقها وشذاها وقد ابتهج كثيرا اذ لاحظ ان القوم يعاملونه معاملة حسنة كما لو كان من طبقتهم نفسها وعزا سبب ذلك الى هندامه ونظافة ملبسه .

كان ثمة رجل يكاد يكون كهلا تصدر الجلسة بهيئة مهيبة قد اضفى على نفسه كل امارات الجاه والرفعة ولم يبزه في ذلك أي من الضيوف الاخرين ، لذا فقد انصرف اهتمام دانيال اليه وعقد عليه الامال قائلا في نفسه « التركيز على واحد خير من تبديد الجهود على خمسة ».

قال الرجل في تأكيد :

ـ ليس ثمة اكثر خيرا للمرء من انشاء العمارات واجتناء اوفر الارباح . فالامر لا يعدو قطعة ارض مساحتها الف متر او الف وخمسمائة متر في موقع مناسب يمكن ان تقام عليها عمارة ذات سبع طوابق فيها خمسون شقة ايجار الشقة الواحدة في السنة ثلاثمائة دينار . ذلك أفضل من انشاء معمل واستئجار عمال واستيراد مواد وفتح أسواق ومزاحمة واعلان وضرائب وتوكيل الوكلاء .

عقب أحد الجالسين في غيظ « مشاكل العمال وقضاياهم تجعل المعمل جحيما . كل يوم اعتراضات واحتجاجات وأضرابات » .

وعقب الاخر « اذا تناسينا الشعارات والكلمات المجنونة التي يتفوهون بها » أدرك دانيال أن المحفل الذي يجلس فيه محفل أرستقراطيين وهو المحفل المسؤول عن نشر العدالة غير المشروطة بين الناس

أبدى دانيال استحسانه للفكرة مأخوذا بقوة شخصية المتكلم ولباقته فالتفت اليه الكهل وابتسم قائلا :

ـ تؤيدني ؟

وكأنه يقول تؤيد رسالتي في الحياة .

اجاب دانيال بقوة :

ـ كل التأييد نعم الفكرة ونعم الرأى •

واستأنف الكهل حديثه

ـ لن يعوز العمارة الا بواب واحد ، يسكن في ادناها في غرفة لا تصلح لشيء ، يتقاضى نحو عشرين دينارا فى الشهر ويربح من المستأجرين بعض المال لقاء الخدمات الصغيرة فيبلغ ايراده نحو ثلاثين دينارا في الشهر •• انني استأجر خمسة من البوابين وادفع لهم مئة دينار في الشهر •

فغر دانيال فمه وهو لا يكاد يصدق •• هذا الرجل يملك خمس عمارات وقاعد على اريكة ويتحدث بكلمات بشر •

أحس دانيال ان الفرصة قد سنحت ، فليس ثمة سترة محترمة محشوة خير من سترة هذا الرجل الثري العظيم فليتشبث بها حتى يقضى الله امرا كان مفعولا •

سأل دانيال في خجل وتردد :

ـ هل عماراتكم كلها ياسيدى فيها بوابون ؟

أجاب الرجل في بداهة وسرعة :

ـ نعم فيها بوابون •

سأل دانيال مرة اخرى

ـ بوابون مريحون لا يغشون ولا يسرقون ولا يخمرون ؟

ـ نعم

ـ بوابون شباب اقوياء الجسم ؟

ـ كلهم شباب اقوياء الجسم

ـ أليس بينهم احد على وشك ان يترك العمل ؟

ـ كلا

نكس دانيال رأسه في قنوط والتزم الصمت •

نظره الرجل في استغراب وسأله مازحا •

ـ ما السبب ؟ يبدو انك مولعا بموضوع العمارات

فتمتم دانيال خجلا ـ «كلا» .. وما لبث الكهل أن نهض مستأذنا بالانصراف فصافح الجالسين واحدا اثر واحد حتى أتى على يد دانيال شد عليها بقوة قائلا :

ـ العمارة السادسة بعد سنة .

فغمغم دانيال « وفقك الله » .

ابتسم ابن عمه في وجه الكهل قائلا في اعتذار ـ السيد دانيال يجب ان يستزيد علما في كل مسألة .. الموضوع فضول لا غير . ـ

فعقب الكهل في ارتياح ـ لا بأس هواية طيبة ليت لي مثلها لعرفت كل شيء .

وشرع الاربعة الآخرون يتحدثون عن طعامهم وشرابهم اسوة بالحديث الذي يدور بين اناس يعزلهم عن عالم الجياع جدار سميك من الشبع والترف والانانية واللامبالاة ، ولم يستأنس دانيال في أي منهم أملا او رجاء فعاد الى نفسه يفكر تارة في روز ومرة اخرى في جورج ومرة ثالثة في مصيره هو كانسان يتنفس ويحيا .

وفجأة حدثت جلبة عند الباب وسمعت وقع خطى قوية تضرب الارض رواحا ومجيئا ثم خفق الباب فنهض انطوان وفتحه . كان رجلان اثنان يصطحبان كاهنا عجوزا يتوكأ على عصا سوداء ضخمة متوجة الرأس بمقبض ثمين من فضة يصنعها عادة رجال الكنيسة المحترمون .

قال أحد الرجلين ويبدو انه شغوف جدا باسداء الخدمات :

ـ ان سيدنا الكاهن قد ضل سبيله ، فهو مدعو الى عشاء في مكان ما فقصد هذا البيت خطأ لعلك تستطيع مساعدته .

وانبرى الكاهن قائلا في كلمات رزينة مؤدبة :

ـ لدى رقم تلفون البيت الذى اقصده .

ـ حسنا تفضل بالجلوس ريثما اخابر اهل البيت .

فأخرج الكاهن من بعض جيوبه ورقة سميكة مطوية وقدمها لانطوان قائلا :

ـ انه رقم التلفون .. قل لهم الكاهن عندنا .. وانه رقم تلفون الشقة ، رب البيت يعقوب ابراهيم .

سأل انطوان « ما عمله ؟ »

ـ « مقاول ورجل اعمال » .

اجاب الكاهن في افتخار

فاصاخ دانيال السمع وتململ في مكانه

لزم جميعهم الصمت .

«سوف أتصل بهم اللحظة بالتلفون وانبأهم بوجودك عندنا» قال انطوان ذلك ومضى الى التلفون القائم في الصالون ومن هناك انبعثت الطقطقات المألوفة من القرص وسمع صوت انطوان وهو يسأل ويرد نعم نعم شأن الانسان الذى يفهم ما يقال له ثم اختتمت المكالمة وعاد انطوان الى الكاهن قائلا :

ـ يا سيدى الكاهن البيت يبعد كثيرا عن مكاننا هذا ويقتضى الامر ركوب سيارة واخشى ان تتعب ، وكنت اود ان ارافقك واساعدك ولكن معي ضيوفا ، واليوم هو يوم عيد ولا يستحسن أن يغيب الانسان طويلا عن بيته :

تنهد الكاهن في أسف « ليس ثمة بد » وهنا خفق دانيال ركبتيه بيده المبسوطتين وقال في عزم وشهامة :

ـ تستطيع أيها الكاهن الصالح أن تعتمد علي . انني سأكون الليلة في خدمتك . ارافقك حيثما تشاء وحتى تكون في المكان الذى تريده .

بان الارتياح على الوجوه جميعا كما ان الكاهن ابتسم في شكر وامتنان ونهض لتوه مستعدا لتقبل هذا العرض السخي الكريم ومضى الاثنان في خطى متثاقلة تفرضها قدما الكاهن البطيئتان المتعبتان .

كان المساء قد خيم وبدأ الظلام يزحف في بطء مزيحا من طريقه كل آثار الشمس الواهنة الصفراء التي أشرقت طيلة نهار عيد الميلاد .

كما ان لسعة من البرد سرت في جسد الرجلين وهبت ريح باردة كأنها الثلج ، فالتف الكاهن بمسوحه بينما دس دانيال يديه في جيوب بنطلونه ونصب قامته متحديا البرد صافرا بين حين واخر كلما لسعته هبة من الريح • سأل :

ـ هل هو مقاول ؟

ـ أجل مقاول

ـ أهو ثري ؟

ـ كثير المال ، وقد دعاني الى العشاء في بيته ، وأحسبهم الحفلة ينتظرونني كلهم •

قال دانيال :

ـ انك صديقهم الحميم ؟

ـ يحبونني أشد الحب• انني صديقهم وصديق آبائهم وكاهنهم الخاص وعاقد زواجهم •

سأل دانيال « هل لديه مكتب ؟ »

ـ نعم لديه مكتب

ـ لديه كتبة وموظفون ؟

ـ نعم لديه عدد منهم

ـ متعهد بمقاولات كبيرة ؟

ـ جدا كبيرة

تنفس دانيال بقوة ورفع عينيه الى السماء متمتما « يا الهي هذه فرصة تؤذن بالنجاح •

ركب الاثنان سيارة عمومية قطعت شارعا طويلا معبدا تغمره الاضواء ثم هبطا منها وراحا يتخبطان في زقاق قليل النور ، وفكر دانيال أن يخابر بالتلفون دفعا للالتباس فدلف الى حانوت حلاق ورجاه ان يسمح له بالمخابرة • أدار القرص وانبعثت الطقطقات وجرى الحديث نعم ونعم

ثم انتهت المخابرة • هتف دانيال : « في نهاية هذا الشارع تقع العمارة هيا بنا » ومضيا حثيثا حتى انتهيا الى باب عمارة هائلة وكأنها مركب من مراكب البحار ، قد تربع طابق على أكتاف طابق ومد كل طابق شرفاته ونوافذه وكأنها مجسات وعيون لحيوان خرافي هائل • وكان كذلك البواب الذي يحتل عادة الفسحة التي تلي الباب ويضع فراشه في الفجوة التي تقع تحت اول سلم • وكان البواب ذاك قد ابلغ سلفا بقدوم الكاهن المبجل فرحب به قائلا « انهم ينتظرونك تفضل معي » واذ لاحظ البواب ان مع الكاهن رفيقا اخر صار يخاطب الاثنين ويرشدهما سوية• كان ثمة مصعد كهربائي حملهم الى الطابق الثاني وكان ثمة ممرات نظيفة ضيقة تمتد من هنا وتمتد من هناك وابواب متلاحقة متشابهة لا يميز المرء احداها عن الاخرى •

شعر دانيال ان مهمته قد انتهت وان احسانه قد بلغ مكانه ويستطيع ان يعود الى بيته ويترك الكاهن في صحبة البواب يقوده الى بيت المقاول يعقوب ابراهيم ، ولكنه لن يعود ما لم يجرب حظه ويتشبث بعمل ما ينقذ روز من براثن جورج •

وقف البواب أمام باب شقة من الشقق وضرب الجرس فانفتح الباب بسرعة وظهر رب البيت يعقوب ابراهيم ، ما ان رأى الى وجه الكاهن حتى انفجر بالترحاب بشكل حار صادق

ـ اهلا ومرحبا بسيدنا الكاهن اهلا بك والف أهلا •

واستدار البواب عائدا فشعر دانيال انه اصبح مهملا وشيئا من غير موقع ما لم يتدارك الامر ويفرض نفسه ويقتحم العقبات • صاح من وراء ظهر الكاهن ـ « ضل سبيله انكم لم تعطوه العنوان » •

فتذكر الكاهن ان رفيقه لا زال موجودا فالتفت اليه محدثا مضيفه :

« يعود الفضل كله اليه • ارشدني الى هذا المكان ألف شكر له »

فوضع الكاهن قدمه في المجاز وتبعه دانيال حتى انتهى الى اريكة صغيرة أخرى لا تبعد كثيرا عن الباب مضيفا على نفسه امارات الالفة واللطف

والكياسة ، فانجلى الموقف فاذا هو ايضا موضع رعاية هذه العائلةوتقديرهم وعطفهم • خرجت الزوجة وخرج الاطفال وجميعهم في حلل العيد الجميلة وساد المكان جو مرح لطيف مؤنس وكانت زينة العيد جلية في كل مكان • الفوانيس الورقية والشرائط والدمى المعلقة بالخيوط مععلب الحلويات والشيكولاته والسكائر مفروشة على المناضد في تناول المدعوين • كان ثمة راحة كبيرة ان يجد المرء نفسه في بيت كهذا البيت ترفرفعليه راية السعادة والبهجة وبسطة العيش ومع كل دقيقة كان يزداد اعجاب دانيال بالعائلة اللطيفة المضيافة •دخن سيكائر نفيسة وأكل حلويات من أجود الانواع ووضع الى جانبه صحن فستق مشقوق ناضج لا يضاهيه في لذة طعمه شيء • ومضت نحو نصف ساعة والحديث لا يعدو عن الاسف والاعتذار للكاهن ثم السؤال عن صحته وأموره وثم الفرصة السعيدة التى لقيهم فيها ويبدو انه يزورهم في هذا البيت لاول مرة • وكلما اعترف الكاهن بفضل دانيال عليه شعر هذا ان مكانه قد تعزز فالانظار تتجه اليه بالشكر فيجيب في تواضع « لا اكثر من واجب »

كانت الحفاوة التى اغدقت على الكاهن لا يغدق مثلها الا على الضيوف الممتازين الذين لا يطأون مكانا الا مرة واحدة في السنة • ومن مظاهر هذه الحفاوة اتى رب البيت بقنينة من قناني البراندى وفتحها وصب كأسين اثنين للكاهن ولدانيال فارتشف دانيال كأسه في تلذذ ورفض الكاهن كأسه متنازلا بها لدانيال فلم يمانع ممانعة جادة فارتشف الكأس الثانية ومضى من بعدها يزيح عن الفستق قشوره ويلتهماللب شاعلا سيكارة بعد اخرى ، ومما شجعه على سلك هذا المسلك ان العائلة بكافة افرادها كانت غارقة في الطعام والشراب ، فالافواه جميعا مفتوحة مغلوقة في تتابع وفي كل فم شيء ما يتخذ سبيله الىالمعدة ، وتناول دانيال كأس براندى ثالثة وثم رابعة عازما على استشعار ما يحدثه هذا الشراب فانزاح أمام دانيال الستار الاخير الذي يفصله عن الاندماج مع العائلة فسأل رب البيت في جرأة :

ـ هل هى حسنة الاعمال في هذه الايام ؟

ـ حسنة بعض الشيء

ـ انت مقاول ؟

ـ نعم شركة مقاولات وانا شريك في الشركة .

ـ تتعهدون بانشاء طرق وجسور أم مبان ؟

ـ هـذا وذاك

ـ لكم مكتب وموظفون ؟

ـ طبيعي لنا مكتب وموظفون ومحاسبون وغير ذلك .

أحس دانيال انه يقترب من هدفه بعد كل سؤال يلقيه ، وأحس كذلك ان الاسئلة قد بلغت غايتها وحان أوان السؤال عن عمل لنفسه هو . قال «انني كنت اعمل لدى مقاول منذ زمن . كان مقاول بيوت ولم يكن رجلا نزيها مستقيما فباء بالفشل ومني بالافلاس فتركت العمل عنده ولم أوفق بعد ذلك الى عمل مماثل . »

أجاب يعقوب باحترام : « نعم » واستمر دانيال :

« الاعمال صعبة في هذه الايام .. وأنا نفسي عاطل » .

فهز يعقوب رأسه ولم يحر جوابا واستأنف دانيال يعرض حاله

« كنت آمل أن أعمل في شركتكم هل يمكن هذا ؟ »

واطرق يعقوب مفكرا وكأنما يبحث عن حل لمشكلة ثم رفع رأسه والاعتذار يرتسم على محياه « أعمالنا ضعيفة في هذه الايام . ولكم كان يسرني لو استفدنا منك وأفدناك .. ولكـن تعذرني . جئت متأخرا . »

تمتم دانيال « كنت تقول ان أعمالنا حسنة » فرد عليه في بداهة «نحن نقول ذلك لمن يسألنا ولكن البواطن غير الظواهر وليس كل شيء يقال منذ البداية » واختتم رده بابتسامة أسف وانبرى الكاهن يسأل عن سير تدريسات الاولاد فاشتركت الزوجة في الحديث بحماس وانقلبت الجلسة بأكملها الى ندوة طفولية تتعلق باصول تربية الاولاد وتهذيبهم وتعلمهم وكل ما كان يدور في خلد دانيال أصبح في مهب الريح ، فلم يبق أمامه

الا ان يدخن السيكائر ويأكل فستقة بعد اخرى في غير ما عجلة ولايكاد ذهنه ينشغل لحظة عن روز وعن جورج وعن المشاكل التى يمكن ان تنجم بعد انقضاء عيد الميلاد • قال في نفسه « كل هذه السعادة مصيرها زوال سريع » وتتابعت أمامه صور كثيرة كانت آخرها الساعة الذهبية الثمينة التى اخرجها الكاهن من جيبه ونظر فيها ، وكانت ساعة قديمة مزينة بالنقوش على غلاف وجهها • قال الكاهن في تباه « اننى احملها منذ ثلاثة وثلاثين عاما • لم تر مصلحا ولا ساعتيا ولا اشتكت من تقديم أو تأخير » وذهبت الى الايدى تتفحصها حتى انتهت الى ايدى دانيال فتفحصها في اعجاب وأعادها الى الكاهن متمتما « ما أجملها وما أندرها » ثم أعلنت ربة البيت عن حلول وقت العشاء وان المائدة جاهزة • فتقدم الكاهن آخذا طريقه الى غرفة الطعام ثم تبعه دانيال ثم رب البيت وقعد جميعهم الى كراسى مغطاة بجلد اخضر من غير مساند تنتصب تجاهها مائدة حافلة تتوسطها دجاجة كبيرة مشوية وعدد من الصحون ملأى باصناف اللحوم وطبقان من المخ واللسان ثم أطباق متناثرة للرز والبيض والسمك والحساء والمخللات وقنينة خردل وكؤوس لبن اختار الكاهن من بينها جميعا الدجاجة المشوية المحمرة • واذ كانت اصابعه لا تساعده على تقطيعها فقد تولت مهمة ذلك ربة البيت فاطبقت عليها بيدين قويتين نشطتين جعلتا الدجاجة اربع قطع في مثل لمح البصر • اختار الكاهن من القطع الاربع قطعتين فقط تشتمل الاولى على صدر الدجاجة والاخرى على فخذ من فخذيها فأومأ الكاهن الى ربة البيت ان تحمل البقية الى دانيال فلم يمانع كان الدجاج بالنسبة اليه أكل نفيس لا يقع له كل يوم • أكل دانيال وأكل الكاهن وأكل رب البيت وأكل الاولاد جميعهم في شهية والتهام ولم يكلم احدهم الاخر قط الا ان ضربات الملاعق والشوكات كانت ترن كلما ارتطمت بالمائدة او بالصحون الفخارية الثمينة • كان دانيال اول من غادر المنضدة • اتجه الى المغسلة وغسل يديه وفمه متطلعا بين آونة واخرى في المرآة المعلقة فوق رأسه • كان يرى الى وجهه وقد غدا

محمرا وكذلك اذنيه وقد لاح في عينيه بريق حزين متعب قال في نفسه « لو تعلم روز أين انا الان ، حتى بالامس لم اكن اعلم ان ثمة عائلةتعيش في هذا المكان وثمة كاهن • صداقة مفاجئة سريعة • نعم هكذا تحدث الاشياء دائما ، الا ان الخيبة لا زالت مستحوذة على فؤاده •

وبعد دقائق تبعه الكاهن الى المغسلة ثم اقبل الاخرون وعاد المجلس الىحالتهالاولىولكن بشكل يوحي الى انالجزءالاهموالافضل قد انتهىوليس من سبيل الا احتساء القهوة الختامية والانصراف ، وجيء بفناجين القهوة فاحتسى دانيال فنجانا شهيا حلوا ثم سيكارة منبعده وصار الكاهن يضرب سند الاريكة بكف يده ويحرك قدميه وهى امارات من يعتزم ان ينصرف وفعلا نهض واقفا وهو يقول فينبرة شكر «حفلة رائعة» ومضى الى الزاوية ليأخذ عصاه المفضفضة فارتفع من الاطفال لغط وجدل يحدث دائما عندما ينصرف الضيوف ، وبعد أن صافح دانيال رب البيت قال متسائلا وكأنه يفطن الى وجوده لاول مرة « لم اتشرف بمعرفة اسمكم » أجاب دانيال في تعب « اسمي دانيال » ثم انصرف متبعا خطوات الكاهن في المجاز الطويل•

وفي الطريق خطر لدانيال أن يجرب حظه مع الكاهن •• فالكاهن كما علم يرأس كنيسة ويدير أملاكها ولديه تتجمع وارداتها ومن الجائز جدا أن يكون في حاجة الى خدمات وكيل أو بواب أو سكرتير أو معاون وما الى ذلك •

وعندما انتهيا الى باب الكنيسة وحانت لحظة فراقهما سأل دانيال في خجل وتردد « سيدي الكاهن وددت أن اعلم ان كانت كنيستكم في حاجة الى خدمات انسان ما ؟

أجاب الكاهن : « تقصد لك » •• تنهد دانيال وتمتم في تواضع

ـ « أجل لي يا سيدى الكاهن •• أنا عاطل » •• اجاب الكاهن في اعتذار :

ـ انني آسف جدا • هذه ليست كنيستي انما أنا مجرد زائر أمضى هنا بضعة أيام •

وخطر لدانيال أن يسأل عن مكان كنيسة الكاهن ولعلها تقع على بعد مئة ميل أو اربعمائة ميل وليس فيها مستخدم يقوم على حراستها ورعايتها .

هتف دانيال مكافحا زئير الريح :

ـ أين تقع كنيستكم اذن ؟..

فالتفت الكاهن ولفظ بضع كلمات في لهجة نكدة تكاد تكون غضبى لم تصل قط الى مسامع دانيال ، ثم دلف الى الكنيسة .

وفي طريقه الى البيت استشعر دانيال أنه سكران بفضل البراندي الذي احتساه .. سكران بشكل رقيق لطيف هادىء مفعم بنشوة مخدرة مؤنسة ، ولا يدري هل كان يترنح أم لا الا أن ذلك لم يكن ذات قيمة قط، فقد اعتراه شعور باللامبالاة بعد أن شبع في الايام السالفة هموما وقلقا . الا ان روز أدركت بثاقب بصرها أن زوجها مخمور ولذا فقد ابتدرته مندهشة ـ دانيال ماذا فعلت بنفسك ؟ .. فنظرها في مرارة واجاب في استخفاف كمن يود ان يتحرر من ضيق ما اثقل عليه زمنا حتى قض مضجعه ـ ألا يسرك ان اكون مرتاحا وارى الدنيا بمنظار جديد ـ ولكن موضوع العمل كان يشغل بال روز وكانت تود أن يبشرها بخير .. سألته مؤنبة « تحدث أين كنت يا دانيال ؟ » .. هز دانيال رأسه في ضيق ولم يحر جوابا فعادت تسأله بالحاح « قل أين كنت ؟ » فالتفت اليها وحدق البصر الى عينيها الكئيبتين وهمس في نبرة جافة :

ـ كنت مع كاهن في بيت لا أعرف أهله فأكلت دجاجا وشربت براندي

ـ وماذا بعد ؟ ـ سألت روز في تضايق ونفاذ بصر :

ـ لم اوفق الى عمل . كنت رخيصا مع نفسي وانني آسف لما حدث يا عزيزتي روز ولا أدري ماذا أقول هل يصح أن تشتغلي مع جورج أم لا يصح .. القضية تتعلق بذاتك وحدها ، كوني كما تحبين ان تكوني فليس لي سلطان عليك ، انني لست اقوى من القدر ولا اقوى من السماء ولا اقوى من الاشياء حيث هي تكون ، حاولت كل ما في مقدور

مغامر ملحاح قليل الحياء أن يفعله ولكن الرياح كانت تهب من الغرب وانا أمخر في البحر شرقا ـ ثم راح يدخن سيكارته الرخيصة وقد تناثر تبغها وتوهجت في أعلاها جمرة حمراء كبيرة • وعندما داهمه النعاس سأل روز في اتضاع وتأمل « ترى أين يكونون الان ؟ » •• وأجاب على السؤال بنفسه •• على أسرتهم طبعا •• ابن عمي ومالك العمارات والمقاول والكاهن وأنا كذلك •• السرير هو اخر المطاف كالقبر تماما هنا يقظة وهناك ظلام أبدي •

وعندما غط في النوم سحبت روز احدى البطانيات ونشرتها على جسده المتعب وأطفأت النور ••

بعد لأي استطاعت نصرية أن تجد لها عملا في مستشفى أهلي . كان هذا العمل يشمل مسح الشبابيك وتبديل فرش المرضى وتعديل الوسائد تحت رؤوسهم ونقل أوعية القاذورات وتقديم الاطعمة والماء وأداءالخدمات الصغيرة الاخرى جليلها وحقيرها . كان هذا العمل هو تجربتها الاولى منذ ان تزوجت عيسى الساقي في مشرب ليلى . كان الزوج والزوجة قد أخذا يشعران بوطأة العيش منذ ان رزقا بالابن الثانى قبل تسعة أشهر ، وانما بدأ هذا الشعور عندما اعتاد عيسى أن يضرب كفا بكف قائلا في ضيق « اننا اربعة انفار » فتجيب نصرية « ما اسعدني لو عثرت على عمل » . فيرد عليها عيسى ، « أين هي الاعمال حتى تعثرى عليها » .

كان قد اصطنع لنفسه فكرة صغيرة ولعله اقتبسها من رائد منرواد المشرب ، فهو يقول ان العامل يتزوج عاطلة وينجب أطفالا كثرا ومن هنا تنبع المأساة والموظف يتزوج موظفة وينجب اطفالا قلة ومن هنا تنبع السعادة ، وقد اصطنع لنفسه رأيا ولعله مقتبس أيضا من رائد من رواد المشرب ، فهو يقول ان العامل يكدح ثمان ساعات تستنفد قواه والموظف ينعم في جلسة مريحة وراء منضدة ست ساعات فقط .

والحق ان مثل هذه الآراء تلقى دوما من يؤيدها فالموظف يتزوج موظفة فيزدوج راتب الاسرة حتى يبلغ احيانا مائتى دينار فيبتعدان عن شبح الفقر قدر ما يبتعد المريخ عن الارض والعامل يتزوج عاطلة قعيدة البيت لا تهب ولا تدب فيعيلها من اجره القليل .

أما المشرب الذى يعمل فيه عيسى فهو تحفة الجيوب العامرة • هو أشبه بكهف واهن النور يذكر المرء دائما بالغسق أو بالليالي القمراء ، لا يميز الجار جاره ان كان قد حلق لحيته في الصباح أم تركها نامية على وجهه ولا يستطيع ان يميز ان كانت بدلة الجار زيتونية أم خضراء فالاضواء تتساقط من وراء حجب داكنة مثبتة بالجدران لا تقهر ظلمة ولا تأتي بنور • في هذا المشرب الحالم تنبعث موسيقى هادئة رخية كوشوشة أغصان في متاهة غابة فسيحة صامتة حزينة لا يرتادها غير الكنارى والعصافير •

يقعد الشاربون او يقفون وليس امامهم غير قدح يخضر أحيانا بالبيرة ويبيض أحيانا من فراغ البيرة وفي كل امتلاء وفراغ يتقرر مصير ربع دينار • يتقاضى عيسى عشرين دينارا فيالشهر وهو راتب زهيد لايصمد في السوق غير ايام قلائل ثم يذوب مثلما يذوب الدهن في المقلاة الساخنة ، ولذا كانت الحاجة خانقة لتجد نصرية لها عملا ، وقد توفر هذا العمل في مستشفى اهلى كبير انيق تعمل فيه منذ الفجر حتى الساعات الثلاث التي تعقب منتصف النهار •

في كل فجر تنسل نصرية من السرير فتستبدل ثيابها وتنتعل حذاء واطىء الكعب وتتزين قليلا أمام المرآة ، وقبل أن تهم بمغادرة البيت تهز كتف زوجها برفق عدة مرات وهي تهمس في اذنه « اننى ذاهبة والطفلان نائمان » •• تقول ذلك عدة مرات وفي نبرات تتفاوت شدة ولينا حتى يفيق عيسى في ارتباك ويتمتم « هاه هاه » فتقول بوضوح « اننى ذاهبة والطفلان نائمان » فيرد عليها في تفهم « حسنا اذهبي »ثم يعاود النوم غارقا في لجته حتى يطلع عليه النهار ويزعجه بكاء الطفل الصغير طالبا شيئا من الحليب فيذوذ عيسى النعاس عن جفنيه لاعنا زوجته والمستشفى والمشرب وأهله وكل من يعمل على جعل حياته منغصة بائسةالى هذا الحد

عندما أنهت نصرية الشهر الاول استلمت راتبها وحملته بتمامه الى عيسى ووضعته في يده فتأمل الوريقات العشر وتمتم في أسى « لقد غدوت

مربيا وأبا واما ، أنام نصف ما أحتاج اليـــه من نوم وأمكث في البيت ضعف ما يجب مكوثه حتى أضجر وأضيق ذرعا بكل شيء فأود أن اهدم الجدران بقبضة يدي لارى ما وراءها فاتسلى وادفع عن نفسى الملل » .

كانت هذه الشكوى الطويلة مخيبة لظنون نصريـــة التي توقعت ان يفرح عيسى براتبها الاول فيشجعها ويسرى عنهـا . سألته في جفاء :

ـ هل تود أن أستقيل ؟

ـ لست أعنى ذلـك

ـ ما الذي تعنيه لاكون على بينـة ؟

فاردف عيسى بنبرة أحفل بالمرارة والحنق :

ـ ان الاغنياء يضعون في بيوتهم خادمـة ترعى شؤون الاطفال ولن يؤثر راتب الخادمة على راتبي الزوجين البالغ أحيانا ثلاثمائة دينار ، فهم يستأجرون عمـلا رخيصا ويؤجرون أنفسهم غاليا .. والامر لن يعـــدو أن يكون ضربا من تجارة نافعة فريـدة .

هزأت نصرية وابتسمت :

ـ كلهن طبيبات ومديرات مدارس وسكرتيرات في الدواوين ، بينما أنا خادمة تافهة أنصاع لاوامر أصغر مستخدم في المستشفى ، ولاجل أن تكون أعمق فهما عليك أن تعلم ان في المستشفى خدما يتقاضون سبعة دنانير فـي الشـهر .

صفر عيسى باندهاش :

ـ قيمة قنينة بيرة واحـدة

ـ أجل قيمة قنينة بيرة واحـدة

فطفق عيسى يحدثها عن بذخ بعض رواد المشرب ، فهم يشربون خمس قناني أو عشرا في جلسـة واحدة ويدخنون عدة علب من أثمن أنـواع السكائر ويبذرون المال يمينـا ويسارا كمـا لو كان قشـا ويمضون الى بيوتهم بسيارات خاصة مع أشياء اخرى لا تقع تحت حصر ..

هزت نصرية رأسها مؤيدة ما ذهب اليه زوجهـا .

ـ هذا ما يحدث فعلا ولا جدوى من الثرثرة والحسرات •

وفي تلك الليلة والليالي التي أعقبتها صار عيسى يرى في كل قنينة يكرعها رائد في المشرب أجر عمل يوم لخادم مستشفى ، فما أرخص العمل وما أغلى البيرة •

كانت نصرية تحدثه أحيانا عن مجال لكسب اضافي في المستشفى هو أن ترافق احدى العاملات مريضا من المرضى ليلة أو ليلتين أو ثلاثا فتتقاضى من جراء خدمتها له دينارا واحدا عن كل ليلة • هذا المكسب الاضافي موضع اشتهاء العاملات وحتى الممرضات فكلهن في سعى مستديم للفوز بهذه السانحة الطيبة ولن تفوز بها الا الابليسة المحظوظة التي تهتبل الفرصة قبل سواها • وقد عملت نصرية في المستشفى مدة شهرين دون أن يطلبها مريض لتعنى به ليلة واحدة •

فكانت تسأل زوجها متعابثة في دلال وهي ترتاح الى ذراعه الممدودة تحت رأسها فوق السرير •

ـ كيف سيكون حالك لو أمضيت ليلتي في المستشفى وتركتك في السرير وحدك ؟

فيتجبر عيسى في مغالطة :

ـ تلك منة كبيرة من السماء ، سأنام في هدوء وراحة بال وأقبض دينارا في الصباح ، •• فترد عليه نصرية متهمة أياه بالجحود :

ـ اذن هو الدينار الذي يهمك لا أنا •

والحقيقة ان مثل هذه المناورات الدعابية تقع كثيرا في ساعات الصفاء عندما تنسى نصرية أنها خادمة صغيرة الشأن في مستشفى عظيم وينسى أنه ساقي في مشرب يتلقى أوامر طائرة من معلمه البدين الاحول المنتصب وراء طاولة طولها متران •

ولكن لابد أن تقع لنصرية فرصة من تلك الفرص النادرة وقد وقعت فعلا في اليوم الاخير من أحد الاعياد وكانت بعض العاملات قد تمتعن بالاجازات • جيء بمريض غائب عن الوعى قد أصابته نوبة قلب

فتعذر عليه التنفس وصعب عليه تناول الطعام فسجى في فراش من الدرجة الاولى بلا حراك تقريبا • كان أقل من كهل ، بدينا كث الشعر صغير الانف والفم أحول العين عليه سيما التجار ووجاهتهم وكان في معيته نفر مهندم أنيق من أصحابه وأهله ، فنشطت نصرية للخدمة بهمة مشهودة • أبدلت الفراش وأزالت الغبار وحملت الماء مبدية رعايتها للمريض كما لو كان أخوها فوقع عليها الاختيار أن تكون مرافقته فتهلل وجهها فرحا •

ستكون اذن هذه أول تجربة لنصرية وأول فتح من فتوحاتها الليلية التي طالما حلمت بها واشتهتها • وكانت العادة أن يبدأ مثل هذا الواجب في الساعة التاسعة حيث تنتهى الخدمة الاعتيادية وتبدأ خدمة الخفر • فأسرعت نصرية الى البيت وأبلغت عيسى أنها ستكون الليلة في المستشفى لمرافقة مريض من المرضى ، فاستدعت عجوزا من الجيران لتمكث مع الولدين وأطلقت يديها أن تطبخ ما تشاء وتأكل ما تشاء ثم انصرف الزوجان أحدهما الى المشرب والاخر الى المستشفى •

عندما وصل عيسى الى المشرب وجد معلمه في غير مكانه المعهود وراء الطاولة السميكة المرتفعة في الزاوية القصية الرحبة من المشرب فبدت الطاولة الخالية في عيني عيسى وكأنها لا تفهم معنى لوجودها كالفرس الذي يفقد فارسه فيتعثر في مشيه ، فتقدم أحدهم اليه وأبلغه ان المعلم متوعك لا يحضر الليلة • فجرى العمل كما يجرى كل ليلة : جمهور محتشد على الكراسى وقناني البيرة تروح وتغدو بين أيدي السقاة تارة ممتلئة وتارة فارغة والموسيقى تنساب في الاذان كالنسيم مطنطنة موشوشة ضائعة في همهمة الشاربين وحكاياتهم ونوادرهم وشجونهم وأحزانهم مكفنة جميعا بأدخنة السكائر •

وعند منتصف الليل عاد عيسى الى البيت فوجد طفليه نائمين جنبا الى جنب وقد تداخلت أرجلهما وأيديهما وكأنهما جسد واحد لحيوان كبير غريب ، وتكومت العجوز على الارض أشبه بسلة محطمة •• كان

مشهدها البائس وتغضنات وجهها وأسنانه الاصطناعية الملقاة على جانب تبعث الأشمئزاز ، ومع ذلك فقد أشفق عليها عيسى وتذكر أن له اما مثلها في مكان ما من الريف .

أمضى عيسى سحابة النهار مع ولديه ثم انصرف قبيل الظهر وقعد في مقهى يرتاده السقاة من أمثاله .. كان عدد العاطلين أكثر من العمالين ولم يشك لحظة واحدة أن كثيرا منهم يقبل العمل مقابل سبعة دنانير شهريا ولم يشك أيضا أن حديث زوجته كان واقعا لا يدحض . وعاد الى البيت بعد الظهر بقليل فتناول غذاءه مع ولديه والعجوز دون أن يفلح في اخفاء امتعاضه وضيقه لغياب زوجته نصرية التي تنشر المسرة والبهجة في بيته . وعندما عادت بعد الساعة الثالثة . أمعن عيسى فيها النظر وكأنه يراها بعد غيبة عام . كانت تعبة محمرة الجفنين مضطربة الشعر قالت متشكية :

ـ لقد أبى أن ينام فأمر الطبيب الخفر أن اناوله أقراصا اسمها فيمادين وكان الاوكسجين ينساب الى رئتيه بدل الهواء الطلق وكان واجبي أن اراقب الصمام وأنقل طلباته الى الطبيب . كان يتأوه ويشكو قلبه . وقبيل الفجر بساعة استسلم للنوم فنمت أنا أيضا على قنفة ضيقة في أقصى الغرفة ..

قال عيسى بانزعاج :

ـ «ليس هذا بالعمل الهين» .. فتأمل وجهها الشاحب وأضاف « أنت تعبة قد ذهب ما في وجهك من دم »

وعندما طرحت الدينار على منفضة السكائر خفت حدته وابتسم ، وقبل أن يهم بالانصراف أبلغها ان معلمه غاب ليلة الامس ولم يحضر المشرب ... فهزت كتفيها غير مبالية وقالت «عساه يموت لو كان يدفع لك راتبا حسنا لما جرى لنا ما جرى » .

فتغيب المعلم ليلة ثانية وثالثة فعلم عيسى أنه مريض وصحته تسوء وتأبيت نصرية ليلة ثانية وثالثة وهي تقول لعيسى كل مساء ان المريض

الذي ترعاه في المستشفى ليس في حال مشجعة وقد يأس الطبيب من شفائه

وفي الليلة الرابعة توفى المريض قبل منتصف الليل بساعة فجاء أهله ونقلوه الى البيت تحت جنح الظلام وأمضت نصرية بقية الليل في الغرفة الكبيرة المخصصة لراحة الخادمات • مضت ساعات الليل رتيبة طبيعية ، فالمستشفى لا يحزن لميت ولا يصعق لنكبة ، فالمرضى يأتون تباعا فمنهم من يشفى ومنهم من يموت دون تعثر أو تأمل أو تحسب ، فالموت والحياة قرينان أو صديقان حيث يظهر الواحد يختفي الاخر ، وعندما انتهى عمل نصرية في الساعة الثالثة ، كان أهم ما ترغب فيه هو أن تبلغ عيسى ان مريضها قد مات وحتى عندما كانت في الطريق أبدلت عدة مرات العبارات المناسبة للخبر ، فقد خشيت أن يفزع أو يفاجأ أو يحزن دون أن يبرح ذهنها خاطر معين هو أنها نذير شؤم فقد مات أول مريض توات رعايته •

وكانت دهشتها عظيمة اذ وجدت عيسى قد ارتدى حلة غامقة وربط على عنقه رباطا أسود وترك لحيته نامية وعليه سيما الجد والاسى والخطورة ، فوقف كلاهما تجاه الاخر متلعثم اللسان لا يدري كيف ينقل الخبر لصاحبه •

أشارت نصرية الى الربطة السوداء في تساؤل :

قال عيسى أخيرا « انني ذاهب لتشييع جنازة المعلم »

فهمست نصرية في خيبة ومرارة « مات المريض ليلة أمس » •

فكر عيسى مليا حتى لمعت بارقة في ذهنه قال :

ـ أيمكن أن يكون هو نفسه ، المعلم في المشرب هو مريضك في المستشفى •• رجل بدين يشكو مرض القلب في عينه حول ••

أكدت نصرية « هو نفسه •• بدين ويشكو مرض القلب وفي عينه حول »

تمتم عيسى « هو نفسه •• لاذهب الى تشييعه »

أطلت الكلام معطفي

كان جليسي في المقهى من المفصولين أيضا .. والمفصولون ، كما هو معروف ملء السمع والبصر ان لم يكونوا ملء الوجدان ، ففي كل مقهى جمهرة طيبة تناقش وتثرثر بين متفائل ينتظر الفرج على أيدي اللجان ومتشائم يرى الابواب أشد مراسا من الباستيل أو من خط ماجينو لا يقتحم بقوة ألف ساعد وكف .

كان هذا الجليس الجديد موضع اهتمامي لانه استطاع بوسيلة ما أن يحترف حرفة اخرى غير الوظيفة . هي أن يكون طباخا ، ومن يعمل طباخا يؤمن طعام يومه **وفي هذا منة كبيرة وفضل عظيم** .

قال ذات يوم ان الكلاب أكلت معطفي ثم ماتت مسمومة .. وشرع يحكي لي حكايته :

عملت ذات يوم طباخا في مطعم شعبي رخيص . يقع هذا المطعم في ميدان متعرج مكتظ يشغله باعة الملابس المستعملة وخياطون ورقاعو أحذية ومصلحو ساعات ومقاه متأرجحة المساطب يقتعدها الدهماء والمستضعفون في الارض ، بين كل خمسة جالسين جالس واحد يترزق من موضع ما فينفق ايراده القليل على أصحابه فيستطيع أن يضمن كل واحد منهم رغيفا وبعض الشاي يدفع عنه الجوع ، وتجد الرثاث والاسمال تتهدل على الاكتاف والسواقين حتى ليصعب معرفة ألوانها لبعد الزمن الذي حظيت به بالصابون والماء .

المطعم حقير وزبائنه فقراء لا يرتفعون عن مستوى الشحاذين قدر ارتفاع القدم عن كعب الحذاء . كنت طباخا في قسم الشريب اركم

العظام وفتات اللحم ونفايات الشحوم والامعاء في قدر هائل يتسع لاربعة منا لو أردنا الاختباء في جوفه !.. هذا القدر يشبع أعظم جائع على ظهر الارض بدرهم واحد ، فيا أيها الجياع تفضلوا واشبعوا وقروا عينا .. ان ستة جياع يشبعون بثمن قنينة بيرة واحدة يكرعها متبطر في دقائق ثم يدرها بولا فوق المزبلة .. ومع هذا فالكساد ناشر علمه وقلة الاكلين معضلة تهدد مطعمنا بالافلاس .

وفي فجر يوم مقرور تلفلفت بمعطفي المتهرىء وشققت طريقي الى المطعم لافتحه وأضرم النار في الموقد واهيىء وجبة الفطور ، دنوت نحو الباب وانحنيت نحو القفل أعالج فتحه بأصابع أقرصها البرد وجمد ما فيها من دم ، فاذا بكلاب ثلاثة ربما تكون هي الذئاب أو من أنسالها وذراريها هاجمتني هجمة كلب واحد وتسلقت ظهري وهممت أن أقف لاتناول حجرا ادافع به عن نفسي ، فانزاحت قليلا عن منكبي ، الا انها أمسكت بذيول معطفي وجرتها جرا وأنا بين كر وفر وشتم وزجر وثبات وتزحزح حتى انخلع القماش كله وبقيت الردنان وحدهما تغطيان ذراعي وحدهما ، وقبل ان اوفق الى تناول حجارة لاذت الكلاب الثلاثة بالفرار واتجهت الى حفرة مجاورة تجمع في قعرها ماء آسن وعلب قصديرية صدئة وركام من القشور والخرق والطين .

وما أن استقرت في مكانها حتى أخذت تنهش معطفي وتأكله بنهم كما لو كان لحما طريا .

ولما عدت الى القفل وفتحته ورفعت الباب تقدمت نحو قدر التشريب فوجدت ورقة صغيرة كتب عليها معلمي يرجوني أن أعيد قفل المطعم قبل أن تداهمني هيئة الحجز الموفدة من حاكم الصلح . لقد كان المطعم مدينا للكهرباء والماء وللجزار والبقال .

عدت الى البيت وما زالت يداي تنافحان البرد بردني المعطف وقد انكشف سائر جسدي لريح قارصة وكأنها الثلج المذاب . قلت في نفسي ـ ردنا المعطف خير من لا معطف والقليل خير من العدم ـ ولست أدري

كيف بدأ مظهري في فجر صباح من شهر تشرين وأنا أخترق شوارع محترمة أنيقة وعلى كتفي ردنان بائسان متهدلان .

وفي اليوم التالى جئت مرة اخرى الى المطعم فألقيت نظرة على الحفرة التي أوت اليها الكلاب الثلاثة فوجدت الموت قد طواها جميعا . ثلاثة كلاب ميتة في الحفرة ، ثلاثة كلاب أكلت معطفي بالامس !.. صحت هذا عجيب .

أجاب جليسى « ليس عجيبا ، لقد كان في جيبي سم فائل للحشرات فابتلعته الكلاب فكان فيه حتفها .. هذا مصير من أكل معطفي ولكنني قد خسرت وظيفتي ، أكلها بعضهم وما زال ينعم بها .. ان وظيفتي تساوي مليون معطف ولو تسممت بها كلاب الدنيا لما عوضت عنها . ان آكليها احياء يروحون ويجيئون وهم متلذذون بنكبتي وبؤسى.

ترى متى نعود الى وظائفنا ... ومتى يشرق الفجر وتصحو السماء » هكذا اختتم جليسى حكايته وهو يهم بالانصراف ..

لم يكن في نية نوري أن يغدو مرابيا بل كان يكره المرابين وينقم عليهم بسبب من جشعهم وألاعيبهم واستساغتهم مص الدماء وجمع المال الحرام من الارامل والضعفاء والمعوزين ، ومع ذلك فلم يكن يرتاح اذا ما تقدم اليه أحدهم يرجوه أن يقرضه دينارين أو ثلاثة • كان يكره الربا كما كان يكره أن يخرج من جيبه أي قدر من مال على سبيل الدين ، ومن أجل ذلك تعين عليه وهو الملتزم لحدود الصدق أن يبتدع أكاذيب صغيرة يصرف بها اولئك الذين يصطنعون قدرا مزعجا من اللجاجة ، ولكنه مع هذا التحفظ كان يقع أحيانا فريسة لحالة يسميها حالة انكسار القلب ، وهي الحالة التي يصعب تلافيها أو التغلب عليها بل تكون أحيانا مدعاة لسروره وارتياحه فيقول لنفسه « في مثل هذه الحالة ليس في ميسور المرء أن يرد كل سائل » •• كان يحيا حياة انعزالية تامة ، ولولا المدينة التي يسكنها تضم نصف مليون انسان ولولا انها تعج بالضجة والحركة لكان نوري رجلا من رجال الصوامع • فهو يقطن في غرفة من بيت •• غرفة صالحة حسنة تكون دائما أقرب الغرف الى الطريق وفي هذه الغرفة ينتصب سريره الصغير في زاوية من الزوايا وتقع في انحاء متفرقة من الغرفة منضدة وكرسيان ودلو ماء وسلة وكتاب واحد فقط عنوانه، كيف تتعلم اللغة الاسبانية ، ولا تخلو الجدران قط من حمل قميصه وسرواله بمسامير رفيعة طويلة يستعيض بها عن

المشجب ، وفي كل صباح تتسرب الى غرفته جريدة يشتريها من ماله الحلال بعشرين فلسا ، هذه الجريدة هى سلواه وصديقه وانيسه ومذياعه وعالمه. فالدنيا تتحدث في هذه الجريدة وكل الناس مرتسمون على صفحاتها وعندما تتراكم أعداد منها في ارجاء غرفته يجمعها نورى ويهبها لربة البيت لتفرشها على الرفوف وتضعها تحت القدور السوداء لئلا تتلوث الارض .

وان كان هناك انسان ما يرغب في تفضيل العزوبة على الـــزواج ويجمع البراهين والادلة من أجل ذلك فيمكنـــه درج السيد نورى في قائمة البراهين والادلة فهو منتصر على العزوبة ومتغلب عليها بدليل انـــه يحيا حياة رضية مريحة من غير زوجة تتعبه وتلهيه وتستنزف أمواله . فهو ثري في عرف الفقراء وفقير في عرف الاغنياء فبضعة الاف من الدنانير مودعة في البنوك لا تجعل من المرء مليونيرا ، جمعها قطرة قطرة كمـا لو كانت ماء ، فالقمار يبتلع المال فهو لا يقامر وان جلس الى موائدهم ، وهو لا يخمر وان كان مقتعدا كرسيا في حانة ومع جوقة من الشاربين وعند الاقتضاء ولتبريـر اشغاله كرسيا يدعو لنفسه بقنينـــة من البيسي يمصمص حلاوتها ببطء ويتحدث كما لو انه يحتسى بنت العنب .

يتقاضى نورى راتبا اسميا قدره تسعون دينارا يضاف اليها خمسـة عشر دينارا تغطية لنفقات المعيشة فيتجاوز راتبه المائة دينار لقاء تدريـس صبية واطفال في مدرسة من مدارس الحكومة .

هذا مبلغ كبير في المكان الذى يسكن فيه نورى ، وجل من حوله فقراء يتآكلهم العدم والحرمان فيبرز بينهم كما تبرز المأذنة في قـــرى الفلاحين .

كان شابا في نظر محبيه وكهلا في نظر خصومه ، فاربعون مـــن السنين ومن بعدها سنتان او ثلاث تضع المرء في منزلة بين منزلتين كما يقول الفقهاء ، فلا هو شاب ولا هو كهل ومع ذلك فهو حسن البـــزة منتصب القامة في احديداب قليل ، اميل للطول منه الى القصر يحمل بين كتفيه رأسا مستديرا لا يشكو صلعا ولا كثافة شعر ، كما ليس في قسماته

نفور يسترعي الانتباه وبالامكان اضافة سجية هامة الى سجاياه هى لطفه وأدبه وابتسامته الطفيفة التي تؤذن بطيبة قلبه .

كان قد سلخ في الخدمة احدى وعشرين سنة ، خدمة تقاعدية تخوله حق تقاضى راتب تقاعدى فيما لو عزل او فصل ولكن السؤال الكبير الذى كان يتوارد الى ذهنه حاملا معه غموضا لا حد له هو أين يذهب هذا التقاعد فيما لو اختاره الله الى جواره .

ان الناس يموتون ويرتحلون من هذه الدنيا في قافلة بطيئة حينا ومتسارعة أحيانا اخرى ولا يكاد باب المقبرة يغلق على تابوت حتى ينفتح لتابوت آخر ، فالمعاول ترتفع في أيدي الحفارين في غير انقطاع والاضرحة تشيد بعضها الى بعض او بعضها فوق بعض كما قال عنها المعرى

رب لحد قد صار لحدا مرارا
ضاحكا من تزاحم الاضداد

ومن هو غير السيد نوري مخلوق اقل من ان يميزه انسان عن غيره من الناس . حقا انه يتمتع بصحة تكاد تكون جيدة ، ولكن الموت يضرب ضربات عشواء فيصيب من يصيب ماسحا اياه من فوق الارض كما لو كان قشة يابسة . فمواجهة المصير المحتوم ليس منه بد وسيبقى تقاعده في كفة القدر ، وهو تقاعد محترم يتمناه جيش من الرجال بل ملايين يعملون ليل نهار دون ان يفوزوا بمثل هذا المبلغ وهو يفوز به من غير عناء ولا شقاء وهو معتكف في غرفته لا يبرحها .

المسألة مسألة الموت .. لمن يكون تقاعده لو انه مات من غير زوجة ولا أخت ولا أم تورثه ، وليس من سبيل الا أن يحتسب تقاعده ايرادا للخزينة ومن وراء الخزينة الوف الجيوب المتخومة ستزداد تخمة على تخمة .

هذا الخاطر غير السار كان ينتابه في فترات تكون متباعدة وتكون متقاربة حسب ما يطرأ على حالته النفسية من مؤثرات ، ولكنه على أية حال خاطر سوداوي يقبض الصدر ، وفي غير مرة انتهى نورى الى فكرة

وجدها مرضية جدا لمزاجه وهي ان يقف تقاعده لجهة خيرية او ينتشل به أسرة بائسة تحيا من بعده في بحبوحة وتذكره بالخير والرحمة .

قبل ايام قليلة وقعت لنورى حالة من حالات انكسار القلب ترتب عليها ان يقرض امرأة باكية مولولة خمسة دنانير للانفاق على جنازة زوجها . وقع له هذا عندما كان يأخذ اهبته للخروج في الصباح الباكر ، فسمع طرقا مضطربا على الباب يرادفه نشيج حاد ، فلما فتح الباب برزت أمامه امرأة تذرف الدموع وتلطم خديها وتقول بتوسل « اقرضنا خمسة دنانير فقد توفي زوجي فجراليوم في المستشفى وليس لدينا مانملك من أجل تشييعه » كان نوري يعرف المرأة معرفة جيدة ويعرف اسمها فهى نظيرة ، قد صادفته غير مرة على قارعة الطريق او واقفة عند باب بيتها وكان قد وضعها سرا في قائمة الجميلات،وهذه القائمة مطمورة في ذاكرته فقط يدرج فيها صورة كل امرأة جميلة يرتاح الى قسمات وجهها وليس وراء هذا شيء مريب آخر قل أم كثر ، الا أن نوري لم ير زوجها في يوم من الايام .

سألها نوري في عجلة ـ هل كان مريضا ؟ ـ فروت المرأة في ايجاز وحسرة « كان يشكو منذ زمن مرض السكر الذي أفسد دمه فيما بعد واطلع في جسده دمامل حمراء كان اكبرها وافظعها في عنقه وكان لابد من استئصالها بعملية جراحية ، وكانت العملية التي ليس منها بد فساءت صحته من بعد العملية وتعسر عليه تناول الطعام وصار يحقن بالسائل المغذي حتى هزل أشد الهزال ففارق الحياة وهو هيكل عظمي » فانشأت المرأة تبكى من جديد فرق لها قلب نورى واخرج محفظته وناولها ورقة من فئة خمسة دنانير جديدة لم تطو من قبل ، وقدر مع نفسه من غير ادنى ذرة شك انها حالة من حالات انكسار القلب .

واذا ما تم هذا الصنيع الخيرى ، اسرع نورى الخطى اخذا سمته الى مدرسته شاعرا بارتياح لم يشعره من قبل .

توارت المرأة عن انظاره زهاء عشرة ايام حيث اعتكفت في بيتهـــا ريثما تمضى فترة مناسبة على وفاة زوجها ، وبعد هذه الايام لمحها نورى وهى تغدو الى السوق مجللة بالسواد ويرين على وجهها الحزن ، تمشى في ترصن وثقل فلم يشأ نوري أن يدنو منها ويعكر صفو حزنها ، اذ خشى ان تحسب انه يهدف الى تذكيرها بالدين وهذا ما يكرهه أشـد الـكره ويعتبره عملا تكميليا من اعمال المرابي •

وانصرمت عشرة ايام اخر وكان نورى قد جلس الى المدفأة فـي الصباح الباكر يدفيء يديه ويرنو الى بيضة كبيرة ملقاة في قعر اناء من أواني الطعام يغلى بداخله الماء وقد ارتدى كامل ملابسه وهو على اهبة الانصراف • دفعت نظيرة الباب وتقدمت في خطى بطيئة موزونة حتـى صارت تجاهه فسرح نظره في وجههـا الشاحب المكئب وتساءل ما وراء مجيئها • قالت في نبرة صافية مترجية « انني أقصدك مرة أخرى يا سيد نوري فعسى أن لا أخيب • فأنت المحسن المتفضل » هز نوري رأسه في تفهم وانفعال وأردفت المرأة تقول « لي في هـذه المرة طلب هام هو انني مهددة أن أفقد النور من بيتي ان لم أبادر الى تسديد هذه القائمة » وبسطت نظيرة يدها بورقة مستطيلة بيضاء عليها كتابة حمراء مميزة لورقة الانذار فأخذها نورى وافردها وراح يقرأ بصوت مهموس حتى انتهى الى المبلغ المطلوب فقرأه بصوت مسموع ـ ثلاثة دنانير واربعمائة فلس ـ

ودعاها نورى الى ان تجلس فترددت لحظة ثم قـررت ان تلقى بنفسها على اقرب كرسى من الباب ولعل هذا يؤذن بتحرجها من ولوج غرفة رجل أعزب • وتشاغل نورى عنها في رفع بعض الاشياء او ابدال مكانها من غير ما هدف مقصود ، وكان على المنضدة صابون حلاقة وقدح وسخ بسائل أخضر هو نسكافة وفلذة من جريدة ممزقة •

تأملت نظيرة مليا كيف يعيش هذا الاعزب الميسور الحال • لـم يكن في غرفته شيء يستحق ان يحسد عليه او يتمناه المرء لنفسه • كان سريره عاليا بسبب تراكم الافرشة فوقه ، حيث تعلوه خمس بطانيات من

غير لحاف ، مع الوسائد الاضافية وهو سرير حديدي رخيص ضيق من أسرة الفنادق المبتذلة ولا ينعم بنظافة او نظام فكما يتركه نورى صباحا يندس في طياته ليلا ، والغرفة بكاملها تكاد تكون فارغة او على وشك ان تغدو فارغة لو انجلت عنها أشياء رخيصة مبعثرة في الزوايا ولا تحمل شيئا من قيمة . وكانت ملابسه المدلاة من مسامير الحائط تسهم الى حد بعيد في اضفاء جو حقير عادي على حياته كلها ، ومع ذلك فالرجل يتقاضى نحو مئة دينار في الشهر ، كان زوجها الراحل يربح مثل هذا المبلغ في أربعة اشهر . اختلست اليه النظر من تحت جفونها المسدولة مقيسة طوله وعرضه ودرجة متانة قماش بدلته وأي نوع من الاحذية يضع في قدميه . درسته مليا وحكمت عليه بالاقتناع انه يفقد بعض مقومات الحب ويعوزه الكثير ليغزو قلب امرأة او تسوغ له حاله مغازلتها .

عاد نورى الى البيضة فرفعها عن النار بملعقة كبيرة ونفخ عليها كقروية تنفخ في تنور لاضرام النار في جوفه . كان فيه شيء بدائي جاف صارم لم يصقل بعد . قالت نظيرة في حيرة وتردد « أنت تأكل ما أشد بلاهتي ، ربما أزعجتك » فطيب نوري خاطرها بكلمات مشجعة

ـ ليس هذا بذى بال تستطيعين ان تقولى ما تشائين .

ولكن الشيء الذي أرادت قوله قد قالته ولعله قد نسى انها قد فعلت ذلك . فاعادت الكرة في نبرة التماس وهي ترفع من جيب فستانها لفة صغيرة من الخرق ..

ـ جئت اقول لك انني مدينة للكهرباء مبلغ ثلاثة دنانير واربعمائة فلس وأخشى ان أمسى في الظلام هذه الليلة ، ومن أجل ان يكون الدين محترما ومأمونا حملت معي هذه القلادة .

عطف نوري رأسه الى اصابعها العشرة وهي تتقلص وتنثني في فك الحزمة ، واذا ما تملها ذلك توهج بين أناملها ذهب كثير تكشف عن قلادة ثمينة جميلة الصياغة تصطنعها النساء في الحفلات والمحافل وعندما تدعو

الحاجة الى ابراز جمالهن ودلالهن . سأل نوري في استغراب « اي شيء هذا ؟ »

ـ « قلادة » .. أجابت المرأة فيحرج تمازحه جرأة . تمتم نوري والاستغراب لا زال يتحكم في نبرته ..

ـ « لاي سبب .. انني لم اطلب منك ذلك » فالتزمت الصمت .. مسألة مثل هذه لا تتطلب سؤالا واستفسارا .. واذا ما رفعت عينيها الى نوري وهو منتصب تجاهها ينتظر ان تفسر له معنى حملها القلادة لمحت في قسماته رقة وعذوبة يستحيل ان يلمس المرء مثلها في وجه أي مرابي ولعله أن يكون انسانا رقيق المشاعر . قالت نظيرة في ضعف وتعب ..

ـ اضعها عندك مقابل ان تقرضني المبلغ ..

ـ « رهن » .. تساءل نوري في انزعاج ..

ـ اجل انها رهن .. هذا ما يفعله الناس جميعا

أنعم النظر الى وجهها ولسبب ما خامرته فكرة الشك في دعواها .. كانت تبدو أحسن حالا من ذي قبل ولعلها تكون قد سمنت او انجلى عن وجهها غبار اسمر فهي اتصع بشرة واكثر امتلاء وملاحة ..

قال نوري « ولكنني لست مرابيا » ..

« هذا عرف سائد » ردت في حزن

فشرح نوري في ايجاز ان مثل هذا الصنيع شائع التداول بين المرابين ولا يود ان يسلك سلوكهم في أية حال ، وهو يحتقر الربا ويحتقر اولئك الذين يستغلون ضعف الضعيف لتمزيقه واهدار كرامته .

ومع ذلك فقد أصرت نظيرة قائلة :

ـ المرابون يتقاضون فائدة وانت تقرضني من غير فائدة وهذا وحده كافيا للتدليل على طيبة قلبك » .. طيبة قلبك .. ردد نورى هاتين الكلمتين في حركة تلقائية من لسانه وشفتيه ثم سأل في مداعبة :

ـ من ادراك انني طيب القلب .. قد اكون عكس ذلك .

فغضت نظـــيرة طرفهـا ولم تجرأ على التطلع الى محيـاه الرزين الفاتم • تمتمت في خجل •

ـ تبدو كذلك ••

فاردف نورى :

ـ انها شيء من زينتك ••

ـ الا ترانى البس السواد ؟

وهكذا لزم نورى الصمت عند هذه الحقيقة ، ومع ذلك فـــكان يؤثر ان تبقى القلادة معه ••

واستطردت نظيرة تقول فيما هى تضع القلادة على المنضدة ••

ـ كلهم يفعلون ذلك •• تلك عادة جارية في كل مكان ••

«ليكن» •• رد نوري في استسلام وفتح محفظته على عجل وفتحهـا فتحا جزئيا ممعنا النظر الى داخلها في المكان الذى يتساقط عليه النـــور فبدا لنظيرة لسبب ما وهو يرنو الى دنانيره المخبوءة بعين متلصصة جافـا بعض الشيء تعوزه الاريحية والطلاقة وتلـك من غير ريب امـارة مـن امارات أرباب الاعمال الحاذقين في تصريف أمورهم •

واذا ما استل خمسة دنانير اقفل محفظته وربت باصابعه على غلافها الجلدى قائلا في لطف :

ـ سوف أعطيك خمسة دنانير ربما يكون ذلك افضل لك • ادفعي ما عليك من دين لدائرة الكهرباء واحتفظي بالباقى لنفسك ••

وشعرت نظيرة ان بضع دقائق تصرمت عندما أضحت هـذه الدنانير الخمسة في قبضتها وكأنما قطعت شوطا بين انامله ويديها فضايقها ذلـك وقالت لنفسها « كم يبدو المال عزيزا لدى هؤلاء الناس » شكرته نظـيرة مؤكدة في جد بالغ « سأدفع لك كل الدين حالما اوفق الى عمل » ثم أردفت في لوعـــة « لشد ما أكون ساخطة على نفسي عنـــدما أذكر ان احدا •• » ولم تتم عبارتها اذ قاطعها نورى مطيبا خاطرها « لا تكترثي

ولا يأخذك الهم ولسوف تعلمين انني اختلف عن سواي واحمل قلبا عطوفا » ..

كانت كلماته حارة منفعلة انسكبت على قلب نظيرة مثل الرذاذ الذى يقع على تراب جاف ، فرفعت اليه عينيها في امتنان وندمت اذ حسبته قبل لحظات شحيحا مغلول اليد ..

قالت في عرفان جميل :

ـ لو لا احسانك لتعين علي ان امضى ليلتي في الظلام وانا وحيدة ..

فابتسم نورى واجاب في تظلم « أنا أيضا وحيد ، انظرى الى غرفتي انها اشبه بكهف من كهوف الرهبان » ولم تشأ ان تسأله علام لم يتزوج .. وجدت هذا السؤال اضخم من ان يحتمله موقفها فآثرت الصمت، وكأنما ادرك نورى ان ثمة سؤالا يدور في خلدها فسارع الى القول « قد تسألينني لم انا هكذا والحق انني لست ادرى ، فقد جرت الامور معي على هذا النحو وكنت قليل المقاومة .. وضعيف تجاه التيار فانجرفت الى الحال الذى فيه الان » ..

بدا هذا الشرح الطويل لنظيرة عديم الجدوى ولا يمكن فهمه فهناك طريقان ، طريق يسلكه الفقراء وطريق يسلكه الاغنياء فان ضل انسان ما طريقه ومضى تائها فمعنى ذلك ان خللا ما يعتور حياته .

تمتمت في أسف « الاصل أن يرضى المرء بحياته وأنت راض عن معنى للتظلم .. والان اسمح لي ان انصرف قبل ان يدركني الوقت فتقفل دائرة الكهرباء ابوابها » ..

قالت المرأة ذلك في بطء وغادرت الغرفة ولا تكاد تجد القدرة على جمع أفكارها المبعثرة ، فقد وجدت في نوري انسانا معقداً بعض الشيء ولكنه لا يخلو قط من الطيبة والنبل .

* * *

عندما عاد نورى الى منزله مساء ذلك اليوم خطر له ان يتخذ

سبيله في اتجاه بيت نظيرة معللا هذه الرغبة بالتيقن من ان الكهرباء لا زال يشع في بيتها .. كان منزله أدنى من منزلها اذا سلك الشارع العام وهذا ما يفعله في سائر ايامه ، أما اليوم فقد قام باستدارة يسيرة في الازقة وهي في الغالب تعج بالاطفال والباعة ودافعي العربات الصغيرة المعدة لحمل أثاث اولئك الذين يرغبون التنقل من بيت الى بيت وبعدد من الدكاكين الوسخة .. مضى في هذه الازقة حتى انتهى الى الزقاق الذى ينفذ الى بيته فسلكه في خطى وئيدة ممعنا النظر الى البيوت واحدا بعد واحد وعندما بلغ بيت نظيرة تطلع الى النوافذ فوجدها مضاءة اضاءة كاملة والستائر مسدولة والسكون مخيم .. كان منزلها منخفضا ومن دور واحد عليه مظاهر القدم استأجرته نظيرة منذ اعوام بايجار زهيد .. تمتم نورى « لقد اثمر الدين واتى أكله والان قد تبدد حزن نظيرة وارتاحت نفسها » شعر بالزهو كمن وقف الى نجاح تجربة ما ..

وفي الصباح برزت أمامه مشكلة حفظ القلادة في مكان لا تصله يد ولا تراه عين باعتبارها رهنا أو أمانة في وقت واحد . في غرفته خزانة جدارية ذات بابين غير محكمين يضع فيها نوري سراويله ومناديله النظيفة العائدة اليه من الغسالة ، مع كتب واوراق واشياء صغيرة اخرى مختلفة النوع ومحبرة وخيوط ومسامير ودبابيس ومطرقة ومفاتيح مختلفة عن اقفال ضائعة وعلبة من الشوكولاتة فيها دفتر نفوس وبعض الاوامر الصادرة من مديرية المعارف وبضع رسائل اكثرها جدة يحمل تاريخا لعدة سنوات خلت . في هذه العلبة كان ثمة مكان يتسع لقلادة نظيرة . لفها جيدا بقطعة قماش بالية وحشرها في العلبة واحكم فوقها الغطاء ودسها تحت كومة من الملبوسات المهملة واغلق الباب .. الا انه احس احساسا يقينيا ان مثل هذا الحفظ ليس مأمون العواقب فقد يتسلل الى غرفته لص او صبي من صبيان البيت ويسطو على القلادة وتكون عندئذ مصيبة يصعب عليها .

شغلته هـذه المسألة يومين أو ثلاثة جعلته يحدد مواعيـد خروجه وأوبته ويضاعف من انتبـاهه ولا يغادر غرفتـه حتى الى المغسلة من غير أن يقفلها ويضع المفاتيح في جيبه ، فبدت له هذه الاحتياطات مدعاة الى قلقه وتوجسه من غـير مبرر ، حتى عثر ذات يـوم على خزانة معدنيـة ضخمة مطلية بدهان أبيض لطيف كاللون المألوف فـي المستشفيات وكان لها بابان منطبقان على رزتين ويقفلان بالمفتاح • قال البائع :

ـ انهـا في الاصل صنعت لمكتب مقـاول لحفظ الكتب والاضابير الا انه تركها ولم يراجعنا عنهـا •

فتفحصها نوري تفحصا دقيقا قبل أن يساوم على ثمنها • كانت في الحق رائعـة وجميلة ووافيـة بالغرض وتصلح لحفظ الملبوسات والاشياء التي يحتمل ضياعها مثل القلادة وسواها •

ابتاعها نوري بمبلغ سـتة عشر دينارا ونقلها الى غرفته فـي الحال يغمره شعور بالارتياح • واذا ما استقر هذا الشيء الكبير المدهون البـالغ الروعة في غرفتـه الموحشة بات كل شيء فيهـا وكأنه يفخر بالخزانة أن تكون الى جانبه تعكس عليه جمالها وهيبتها • كانت أشبه بالكحل فـي الوجه الشاحب الحزين ، نقل نوري اليها كامل ملابسه الجديدة والقديمة والنظيفة والوسخة ، ونقل مع كل ذلك القلادة ، وقد وضعها في مكان قريب حيث كان في ميسـوره أن يلقى عليهـا نظرة خاطفـة أو طويلـة حسب مزاجه وبمقدار ما يسمح به الوقت ، اذ كانت من حيث يدري أو لا يدري الشيء الوحيد في غرفته الذي يذكره بالمرأة ويعود الى المرأة ، وكان يقلبها أحيانا بـين أنامله ويحدق اليها النظر ، فيدنيها مـن المصباح الكهربائي لتكون في تمام بهـائها أو يزيح الستارة في النهـار لينفذ اليها نور الشمس فيتخيل العنـق المرمرى الناعم الذي تنسـدل عليه وما يلـى العنـق وما يتبعـه ويحيط به ، فيتنهد على ضيـاع شيء غامض ليس لـه صورة واضحة في ذهنـه •

خطر له أن يعيد القلادة الى صاحبتها كبادرة من بوادر النقه وتوثيق الصلات ولكنه تردد لسبب مجهول ، ليس خوفه على الدين من أن يضيع فالمبلغ كله لم يعد ذات قيمة كبيرة في نفسه ولكن انزعاجه من أن تكون غرفته من غير قلادة أو من غير شيء منها كما لو كانت القلادة هي النافذة أو السرير .

وذات يوم التقاها نوري وهي تدلف من الزقاق متجهة الى الجادة العمومية تؤرجح في يدها حقيبة سوداء كبيرة وتلف رأسها بمنديل حريري ذي لون أسود . كان عليها سيماء المرأة النشطة المنتصرة على حزنها وألمها وكان محياها يقول ـ الحياة ليست كلها حزن وخمول واعتكاف في البيت ـ حياها نوري في بشاشة وابتسم محياه كمن يعثر على صديق افتقده منذ زمن طويل ثم عثر عليه بعد جهد كاشفا عن قلقه عليها وهذا ما أدهشها اذا كانت نبرته أقوى مما يحتمله موقفه منها ، فردت عليه نظيرة معتذرة « انني أبحث في هذه الايام عن عمل يناسبني ولسوف اواجهك عندما يكون ذلك ضروريا » ففهم نوري ان خطابها يحمل الطابع الجدي المتعلق بعمل من الاعمال ودهش أن تكون هذه نظيرة نفسها التي شغلته قلادتها . فندم بعض الشيء وراح يمعن النظر الى عنقها ، الى المكان الذي كان ينعم بالقلادة فحدست نظيرة سر نظرته فرفعت كفها وغطت به رقعة ضخمة من أعلى صدرها وابتسمت في خجل فأشفق نوري على حالها وعاوده الأمل أن تلين نبرتها قائلا في نفسه : لو كانت القلادة معي لقلدتها اياها . انها تبدو في متناول يدي ولن تمانع . قال في عتاب « يدك هذه لا تعوض انزليها » .. وكأنما قد نسي أن القلادة معه وهي ليست مسؤولة عن ذلك . تمتمت نظيرة « ليست هي بذات بال ، انني ألبس السواد على زوجي والذهب شيء محرم في هذا الحين » .. وأفاق نوري من تأملاته مذهولا وسرح بصره في ثوبها الاسود المحتشم الطويل الاكمام فسألها في ارتباك مداريا فشله « كيف تجري الامور معك يا نظيرة ؟ »

أجابت في حسرة « ليست كما يريدها الناس لاصدقائهم »

وسأل مرة اخرى « وأنا من الاصدقاء أم لا ؟ »

فابتسمت في أسى وأجابت « من الاصدقاء من غير ريب وهذا ما حملني الى الالتجاء اليك ولسوف التجأ مرة اخرى وأطلب معونتك ».

ـ « لن أرد طلبك، تفضلي متى تشائين » .. قال ذلك في عزم وثقة ولسبب ما أحس أن نبرته تنطوى على رنين خاص كذلك الرنين الذي ينطلق من جرس فضى صغير فيخدر أكثر مما يبعث على الاستيفاق .

وبعد بضعة أيام وفدت عليه نظيرة كما وعدت .. كانت تحمل تحت ذراعيها سجادة ايرانية صغيرة الحجم من ذلك النوع الذي يفرش على الارائك أو يعلق على الجدران ولا تطأه الارجل .. أدرك سبب مجيئها فلم يأخذه الحرج بل وجد في زيارتها مسرة ووسيلة مفضلة لقضاء الوقت .

قالت نظيرة مبتسمة ابتسامة باهتة حزينة « جئتك بهذه السجادة مقابل أن تقرضني عشرة دنانير » .

سألها « ما حاجتك لمثل هذا المبلغ ؟ »

أجابت في ايجاز « تخلفت عن دفع ايجار بيتي منذ شهرين ولا يصح أن أسكن بيتا من غير أن أدفع ايجاره . »

ـ « هل طولبت بالدفع » ... استوضح نوري

ـ أجل طولبت وصرت أستحي من مواجهة رب البيت ، والا لما حملت اليك سجادتي من أجل ...

هتف نوري معترضا في اباء :

ـ أنا لست مرابيا يا عزيزتي .. أنا لا أريد سجادتك ولا قلادتك ولا أريد أن يكون معي شيء من أشيائك .

ونهض الى الخزانة وفتحها بشدة واستخلص من طيات ثيابه القلادة فنشرها على المنضدة مستأنفا حديثه .

ـ خذي سجادتك وقلادتك لا أريدهما .

ولكنه كان يرغب في أعماق نفسه ألا تفعل والسبب هو أنه يرغب أن يكون معه في الغرفة أشياء منها .

أكدت نظيرة في عزم « هذا مستحيل مقابل ما تعطى ينبغى أن تستلم » هتف نوري « أنا لست صيرفيا ولا مصرف رهون . »

أجابت نظيرة في اصرار « هذا لا يهم كل الناس يفعلون ذلك وأنت أنبل من الآخرين لانك تقرض أموالك من غير فائدة . »

ضحك نوري في سخرية وعقب قائلا « فائدة .. أتقاضى فائدة من بائسة مثلك .. انني لأود أن أقدم اليك معروفا أكبر ، انني أستشعر مصيبتك .. بل اتألم من أجلك » .

تمتمت نظيرة خجلة « ألف شكر لك .. ينبغي أن أنصرف »

ـ سأدفع لك عشرة دنانير .

أخرج محفظته على عجل وفتحها فتحا كاملا واستعرض ما بها من مال ثم اختار عشرة دنانير قائلا في نبرة سخاء ولا مبالاة

ـ خذي عشرة دنانير .

استلمت نظيرة المبلغ واستدارت عائدة من غير كلمة اضافية .

واستلقى نوري على أحد الكراسى وأطلق لتأملاته العنان : هل مافعله حسن أم سيىء .. هل هو من الاخيار أم من الاشرار .. وهل هو انسان يتصرف بحكمة أم بحماقة .

انها من غير ريب امرأة حازمة تخطو بقدر ما هو ضرورى وتتحدث بقدر ما هو ضروري ولم يلاحظ نوري قط انها تسترخص نفسها أو تحاول أن تستدرجه الى فخ ما ، وفي ميسور من يتعامل معها أن يركن الى الاطمئنان ولعل في وجهها ما يوحى بالثقة . بدا وجهها لنوري ذلك اليوم مستديرا لامعا قد تناسق الانف القصير مع الشفة الرقيقة المنطبقة على فم تبرق من تحته أسنان صغيرة بيضاء ، مثل هذا الوجه قد يوفق في يوم من الايام الى أن يرسم في لوحة تعرض في المعارض يكتب تحتها جمال وجلال في وجه امرأة حزينة .

كانت السجادة ملقاة على أحد الكراسى في اهمال فرفعها نوري وفرشها على الارض وأمعن النظر الى نقشها فأعجبته اليد الصناع التي زخرفت كل هذه المنحنيات والاقواس الدقيقة المتناغم بعضها مع بعض في ذوق رفيع يبهر البصر • كانت حقا سجادة نفيسة وربما تكون أثرية تزيد قيمتها من غير ريب عن عشرة دنانير وربما عن عشرين دينارا ، طواها نوري ووضعها على سطح الخزانة وتراجع الى وراء ونظرها على مبعدة عدة ياردات فلم يعجبه مكانها قال مخاطبا نفسه ـ لايصح أن توضع في مكان مكشوف تصلها الايدي ـ فعاد اليها وأنزلها عن سطح الخزانة وجعل لها مكانا في أحد الادراج بعد أن أزاح ما عليه من أشياء ، فارتاح للفكرة وقال متمتما في ابتهاج ـ معي الآن قلادتها وسجادتها وفي مرة ثالثة ستحمل الى سريرها •

الا أنه ما لبث أن ابتئس لحالها بسبب من اضطرارها الى بعثرة ممتلكاتها على نحو محزن •

* * *

لم يكن الوقت شتاء ، الا أن الشتاء مقبل من غير ريب بعد شهرين أو ثلاثة ولسوف تكون السجادة ذات نفع اذا داهم البرد الناس ••

وغابت نظيرة نحو شهرين فخطرت في بال نوري غير مرة وحسب أنها مريضة فاتخذ سبيله نحو منزلها فلم يجد الباب مفتوحا ولكن كان ثمة ضياء ينبعث من نافذة الغرفة ، فحدث نفسه معللا الصمت الثقيل الذي يرين على منزلها ربما هي مسافرة الى جهة ما • وبعد انقضاء شهرين لمح على باب منزلها رقعة فاذا المنزل معروض للايجار • كان الباب مفتوحا يجلس عنده عجوز متصابي نظيف البزة يعتمر سدارة ويضع عوينات ، عليه سيما المالك الذي ينتظر مستأجرا ، فسأله نوري ان كان البيت فارغا فرد عليه المالك بالايجاب •

اذن قد انتقلت نظيرة الى بيت آخر ، وقف هنيهة لدى البـــاب فخطر له خاطر صبياني هو أن يدخـل ويرى الى غرفتها الخاليـة حتى وان لم تكن هناك ولن يكون شيء مما تملكه . قال للمالك « أود ان أستطلع البيت فاسمح لي » .. فأفسح له الرجل ومضى نوري عبر مجاز قصير مرصوف بالكاشى انتهى بعده الى ساحة مربعة مبلطة بالآجر المربع الفاقع اللون تقع على جانبه المحاذى للشارع غرفة مفتوحة الباب عليهـا سيما الخراب ، اتجه اليهـا نوري ووقف في وسطها يرسم في ذهنـه موضع سريرها وخزانـة ملابسها والمكان الصغير الذي يتسع لاريكة الاستراحة . كانت غرفة حقيرة مخدشة الجدران مطلية بدهان برتقالي ناصل ، وكانت الارض محفورة حفرا صغيرة وغير مستوية من جوانبها كلها . تأمل نوري الجدران والسقف والنوافذ ثم تنهد وكأنما يأسـف على مخلفات عزيز افتقـده الى الابد . قال للمالك « كانت تسكن ههنـا امرأة من معارفي ولست أدرى أين ذهبت .. كانت بائسة توفى زوجها فمرت بها أيام شديدة الضيق . »

هتف المالك وكأنما قد عثر على مفتـاح جريمة غير آبه بقصـة نظيرة المحزنة ..

ـ اذن أنت تعرفها ، بالله دلني عليها ..

ـ ماذا تريد منهـا ؟

ـ أطلبها أجار شهرين اثنـين .

فأجـاب نوري « أعرفها ولـكني لست أدري أين ذهبت ولسـوف أكون في غاية الامتنان لو أرشدني انسان ما الى مكانها . »

فهز المالك رأسه في انزعاج وأسف وقال « لعنها الله لقـد انتقلت من غير علمي ولي في ذمتها عشرون دينارا بدل ايجار شهرين » .. فهـدأه نوري في لطف : الضيق أيها السيد يفعل بالانسان ما يفعل حتى لتظنـه محتالا أو غشاشا ، وفي ظني انها امرأة وفية قائمة على العهد ولكنني كما قلت لك السبب هو الضيق ..

وكاد يذكر له انه ارتهن قلادتها وسجادتها الا انه أمسك في اللحظة الاخيرة واجدا أن مثل هذا الصنيع يفتقر الى الكياسة والذوق .

عندما احتواه الفراش تلك الليلة لم يسلس له النوم قيادا ، كانت صورتها تغزو ذهنه ، غير مستطيع أن يردها عن ذاكرته ، فلا يفتأ يسأل نفسه : أين تكون هي الآن ، وما هو مصيرها ، وماذا جرى لها ، وهل هي شقية أم سعيدة ، بائسة أم منعمة ، صحيحة ، أم معتلة ، وهل تفكر في استعادة قلادتها وسجادتها أم تركتهما له الى الابد ، ولكنه لا يريدهما قط ، اذ لم تعد لهما قيمة الا بما يذكره بصاحبتهما . كان يشغل باله مكانها الجديد ، فقد شقى كثيرا بسبب هذا الانشغال الذى أضحى أشبه بالهم ، فلم تعد صورتها في ذهنه غير خيال جميل مؤنس ينعم بالشفافية والرقة الى أبعد الحدود . وأمضى ليلته وليال أخر وهو فريسة لتأملات مضنية تمر عبر ذهنه كشريط من أشرطة الافلام .

ومضت الايام ولا تكاد ذكراها تبرح خاطره . في كل فجر يأمل أن يلقاها في موضع ما ، وكلما ابتعد عن منزله مسافة ما أو صادف أن كان في جهة نائية ، زاد اعتقاده في لقائها . فهي بعيدة وهو بعيد أيضا ولابد أن يقع لها على أثر ، ولكن من غير جدوى .

لم يستشعر نوري الحب لها الا في هذه الايام بعد أن غابت عن نظريه وفقد أثرها ، وهذا ما حز في نفسه وأكربه أشد الكرب لقد ندم لانه لم يفعل شيئا ذا قيمة أيام كانت تقيم الى جواره في زقاق واحد . كان في ميسوره أن يفاتحها بحبه ويستلطفها بأكثر ما فعل ويضع حدا لعزلته التي صارت تثقل عليه أثقالا غير محتمل ، فلم يستشعر الغربة كما يستشعرها اليوم وكأنما هو مسافر من المسافرين يقيم في بلدة ليست هي بلدته ولا يعرف فيها امرؤا قريب الى ذوقه ومزاجه . فلعن قلبه الذي لا يحب الا في البعاد . ولكن هل كانت تحبه ، ربما كانت تحبه فقد لمحها ترنو اليه بنظرة رضيه مريحة لم يحسن نوري تنميتها وانعاشها على النحو الذي يقع في محيط الناس الاذكياء .

فكر نوري : ترى هل هي نظيرة الاسرة البائسة التي يود لها أن نعيش من بعده في بحبوحة وتذكره بالخير والرحمة ، ولكن نوري لم يود قط أن يقع في قبضة اليأس ، ففكرة الموت فكرة يائسة مريرة لا تنسجم مع آماله وتطلعاته في حياة مشرقة بهيجة • ومع ذلك فنظيرة تحقق الغرضين كما تبدت له • فهي تضمن له الحياة المشرقة البهيجة وهي خير من يستأهل تقاعده فيما لو حدث ما حدث • وانه ليذكر في كثير من الاسى يوم انزلقت قدمه على السلم والتوت ساقه عند المفصل • لقد حمل الى فراشه وأبقى فيه بضعة أيام غير قادر على الخطو حتى لادنى حاجاته قربا ، حتى طعامه كان يجلب اليه من المطعم بعد أن يرجو أحد الصبيان بهذه الخدمة • لقد أهمل بالمرة بسبب من توحده وعزلته وانفراده من غير رفيق أو أنيس ، واذ ما يتخيل نظيرة بجسدها المتين القوي ويديها النشيطتين الحاذقتين وطبعها الهادىء الحافل باللطف والامتنان كل ذلك كفيل أن يضمن له رعاية افتقدها دهرا من عمره •

صارت القلادة والسجادة تخرجان من مخبأهما كل يوم عدة مرات يراهما نوري ويلمسهما ويهمهم مغتاظا وكأنه يسألهما : هل تعرفان أيها الشيئان الثمينان أين تكون صاحبتكما الان •• أنت أيها القلادة التي زينت صدرها الجميل وأنت أيتها السجادة التي حملت قدميها الصغيرتين المدينتين لا زلت تحتفظين بالغبار المتطاير منهما • لقد كنتما ذات يوم تنعمان بسعادة أشتاق الى بعضها في هذه الايام•

* * *

وأقبل الشتاء يزحف مثل جحفل قوي ينفخ في الشمس ليصفي شواظها ويمسك بطرفي النهار فيعتصرهما حتى يفقد بعض مداه وانبرى البرد يمشي في ركابه فارسا مثلوجا فاذا الارض العارية التي نعمت بالدفء تلسع القدم ان لم يستر عريها سجادة ، وسجادة نظيرة معه فهي تقاسي البرد في مكان لا يدريه • وصارت الامطار تهطل رشيقة خفيفة حينا وثقيلة مدرارة حينا آخر حتى لتحسب ان المدينة في سبيلها الى

الغرق ، ويتوقف المطر فتتهادى الغيوم متدلية من السماء مهددة منذرة تكثف في أيام وترق في أيام أخر ، حتى حل شهر شباط وكان البرد في عنفوانه تصحبه ريح باردة لا يصدها عن سبيلها غير الصوف والنوافذ المغلقة والمدافىء والسجاد . فتضاعفت هواجس نوري حدة على حدة .

وذات يوم لقيها .. كان لقاؤه مجرد مصادفة غير متوقعة .. لقيها في مكان ليس بعيدا عن منزله ، وهذا ما أدهشه أبلغ الدهش اذ قضى شهرين من عمره وهو يعاني القلق المبرح وشتى الخواطر الواخزة المعذبة وهي على مسافة يسيرة بميسوره أن يقطعها في دقائق عشر . وانما حدث ذلك غب انهمار مطر عباب مدرار استمر ما يزيد على الساعة . ثم توقف وتلاشت الغيوم قطعا قطعا الا ان الارض ما زالت ندية منقوعة يتراكم عليها الماء والوحل الحامل لكل أتربة الازقة . وبرزت الشمس واهنة متعبة يائسة من تجفيف الارض المثقلة بالرطوبة . وشرع الناس يخرجون من بيوتهم بعد أن احتجزهم المطر . اخترق نوري شارع الجمهورية وهو الشارع الوحيد في المدينة الذي لم تطأه قدماه منذ أشهر وهذا ما دعا نظيرة أن تحتجب عن ناظريه اذ كانت في الشارع نفسه وهو في الحقيقة شارع نظيف صقيل ذو بواليع ضخمة تمتص كلما قدر للمطر أن ينزل من ماء ، عند مفتتح هذا الشارع وعلى بعد لا يزيد على مئتي خطوة من ساحة التحرير حيث تقع العمارات الشاهقة الانيقة لمح امرأة بين امرأتين اخريين في أدنى عمارة من هذه العمارات تحمل دلوا وخرقة ، مرتدية مئزرا أبيض شأن عاملة من عاملات التنظيف ، وقع نظرها عليه فازورت ازورارا غير موفق ، فقد أبصر بها نوري وتسمر في مكانه لا يريم . ناداها في قلق وابتهاج « نظيرة ماذا تفعلين هنا ؟ » لم يكن ثمة بد من محادثته فتقدمت نحوه وهي ما تزال تحمل الدلو والخرقة غير مبدية أي بأس من حالها هذا . سألها في جزع « ماذا تفعلين هنا ؟. انني كنت أبحث عنك . »

أجابت في بداهة « أشتغل في هذه العمارة »

أوضح نوري متمتما « انها وزارة الاصلاح الزراعي »

فاجابت مؤيدة « أجل انها وزارة الاصلاح الزراعي »

وشرع نوري يحدثها عن قلقه عليها .. قال في ايجاز :

ـ كنت دائما في بالـي ، اسأل نفسى أين هي نظيرة ، ماذا حـل بهـا ؟ لكم كنت أود أن أراك في مكان ما ، انها لفرصة سارة .. هل أنت فـي خير ؟

ـ في خير وألف شكر

واذ ما صمت لحظـــة أضـافت في تأكيـــد « وانني ما نسيت الذي بيننا ، أنتظر أن يتحسن حالي فأعيد اليـك ما أخذته منـك » استـاء نوري بعض الشيء من اهتمامها بأمر الديـن وهي قضية غدت غـير ذات موضوع بالنسبة اليه .. قال محتجا في عتاب :

ـ هذه مسألة تافهـة .. المهم أنت .. كيف هي صحتك وكيف تعيشـين ؟ ..

ـ قلت انني في خير ولا تقلـق

ـ أين تسـكنين ؟

ـ فـي الثـورة

سفر نوري متعجبا من اختيارها ذلك المكان البعيد وقال :

ـ الثورة .. مكـان بعيد

أردفت نظيرة قائلة « أسكن مع جماعة من اقربائي »

التفت نوري الى الوراء فرأى المرأتين تعملان وحـدهما في تنظيف السـلم المرمري وبطبيعة الحـال كان يجب أن تكـون نظيرة معهمـا .. ولاحظها نوري وهي تتململ متضايقة راجية من غير كلمات أن يسمح لها بمعاودة عملهـا .

قال مختتما حديثه : متى ينتهي عملك ؟

ـ فـي الخامسـة

نظر نوري الى ساعته .. كانت الرابعة والربع قال « سـأعود في الخامسة لاراك » .

فهزت رأسها موافقة من غير كلام واستدارت منصرفة الى عملها فأوسع نوري الخطى مبتعدا عن العمارة ، وما هي الا دقائق حتى صادفه مقهى من المقاهي الرخيصة المبتذلة يقتعد مصاطبها جمهرة من لاعبي الدومينو يتمازحون ويشتمون فلم يستنكف نوري من القعود على مصطبة منعزلة • في هذا المقهى وضع نوري خططا موسعة لمفاتحة نظيرة بحبه وتنازله عن الدين ودعوتها لزيارته وربط حياته بحياتها قدر ما يكون ذلك ممكنا • أما أن تكون منظفة وترتدي مئزر الخادمات فليس في كل ذلك ما يثنيه عن عزمه • واذ ما بلغت الساعة الخامسة انقلب عائدا اليها فلمحها على مبعدة وهي تغادر العمارة في خطى رشيقة غير متريثة ولا متعجلة فلحق بها حتى حاذاها عند قائمة النصب في ساحة التحرير ، وسار الى جوارها ممعنا النظر الى فستانها وحقيبتها وقسمات وجهها الجانبية لا سيما أنفها الصغير المبعوج ، فنظرته من طرف عينها فداخلها زهو غامض أن يكون في رفقتها رجل قد انتظر خروجها ولحق بها وهو يرمقها باعجاب متلهف الى مخاطبتها ، ولكن مع كل ذلك كانت تستشعر الاستيحاء من اقدامها على فعل محرم وان كان بريئا اذ ربما يكون مثار لحديث معارفها • سأل نوري « أي السيارات تذهب الى الثورة ؟ » فأشارت نظيرة بيدها اشارة صغيرة مع اهتزاز يسير في رأسها الى حشد من السيارات العمومية قائلة « هنا » •

قال نوري في مداعبة «أية غيبة طويلة هذه ، لقد ظننت بك الظنون»

ـ ماذا ظننت « خائنة » قالت في لطف ومؤانسة بددت حراجة نوري وصار في ميسوره أن يسلك معها سلوك الصديق • قال مازحا :

ـ بل ظننت انك وفية ولكنني كنت قلق عليك كنت أخشى أن يكون قد أصابك مكروه فقد انقضى شتاء بارد ومعي سجادتك فقلت انني في الحق كنت ظالما اذ تركتك تعانين البرد •

أجابت في ايجاز « ماذا كان بوسعي أن أفعل بعد أن طوقني الدائنون ، ولم أر مستساغا أن أثقل عليك بطلبات جديدة • وكان

بالامكان الاستغناء عن السجادة والاستعاضة عنها بقطعة من قماش فرشتها على الارض • ثم تنهدت باسى وقالت « علي أن احتمل »

فطمأنها نوري باشفاق : « هذه قضية تافهة تستطيعين استعادة القلادة والسجادة متى تشائين » •

ولم تنبس نظيرة ببنت شفة ، تقدمت الى سيارة عمومية وركبت فلحق بها نوري وجلس الى جوارها واعتصم بالصمت بعض دقائق ريثما انطلقت بهما الى الثورة مخترقة شارعا طوليا عريضا تقع على جانبيه بيوت متباعدة ، معظمها لم يكمل بناؤه بعد وأراضى فضاء مقفرة ، حتى برزت معالم الثورة ، وهي حشود متلاحمة من المنازل عليها سيماء البساطة والفقر ينتشر في ساحاتها الباعة على غير نظام تعج بالمزابل والاوحال والحطام البشري • هبطت نظيرة في مكان ما وتبعها نوري ومشيا في اتجاه زقاق مرصوف بالحجارة • عقبت نظيرة تقول « هل بوسعي أن استعيد السجادة والقلادة ؟ »

هتف نوري «نعم تستطيعين» لن تدفعي لي فلسا واحدا •خذي سجادتك وقلادتك ولسوف يسرني أن تكون في عنقك القلادة وتكون تحت قدميك السجادة • انني احتفظت بهما كل هذا الوقت ظلما »

كان الشك يخامرها ، انها لم تألف حديثا مثل هذا فما معناه !•• هل يحبها وعلام يحبها ، أو هو يسعى الى هدف لم تتبينه وكيف انبق مثل هذا الحب حيث لم يكن من قبل حب •• ان الناس لا يتبرعون بعشرات الدنانير من أجل لا شيء ••

دخلت نظيرة في واحد من تلك البيوت وهي تهتف في المجاز : « جاء معي راهن القلادة والسجادة » •• كررت هذا الهتاف ثلاث مرات فلم يستسغ نوري هذا الاسلوب ولكنه من غير شك مدبر لاضفاء شخصية المرابي عليه لا شخصية الرجل المحسن •• فتبعها نوري وهو خجل من هتافها وكأنها تدينه بذنب •• فبرزت وجوه وابدان من ابواب متعددة ••

ثمة رجل عجوز وامرأة شمطاء تحمل مكنسة وصبي مدرسة يحمل كتابا وعامل ميكانيك بملابس زرقاء .

عقبت نظيرة مشيرة الى نوري « هو ذا الرجل الكريم الذي أقرضني بعض المال وساعدني كثيرا أيام محنتي وعنده قلادتي وسجادتي »

وكان الدافع لهذا التوضيح هو استبعاد الظنون من أن تكون نظيرة قد عاشرت رجلا تمتم نوري : من يسمعها يظنني مرابيا .

دلفت نظيرة الى احدى الغرف الامامية وطرحت حقيبتها وفتحت بعض الجوارير فاشرأب نوري بعنقه ليرى الى محتويات غرفتها . كان يبدو من الباب المفتوح جزء من سريرها وفلذة من بساط مطروحة على الارض تقوم مقام السجادة وثمة خزانة خشبية ذات جوارير من طراز قديم ، أزيلت أقدامها واستعيض عنها بأربع قطع من الآجر . قال نوري في نفسه وهو يتأملها : امرأة على مثل هذه البساطة شغلتني شهرين من الزمن وها أنذا أرجو صداقتها .. ، وبعد نحو نصف ساعة نهض نوري مودعا فتبعته نظيرة الى الباب الخارجي وهي تردد بصوت مسموع « سأدفع لك الدين يوم قبض الراتب .. »

فتمتم نوري لدى الباب : سنرى ان كنت تستطيعين الفكاك من قبضتي ، ولم يحدد في ذهنه معنى هذا الفكاك من قبضته ولكنه وطد العزم على أمر ما .

كان ثمة عشرة أيام ليبلغ الشهر منتهاه .. انهمك نوري خلالها في تغيير معالم غرفته من اساسها ، كان هذا التغيير يشبه الى حد ما تحويل خربة الى فيللا أو مزبلة الى حديقة . فقد استدعى صباغا دهن جدران غرفته بلون أخضر فاتح كقشر الفستق وابتاع سريرا من خشب وثيرا أنيقا وأتى ببعض الارائك ومشجب ذى قاعدة ومنضدة جميلة من خشب البلوط اقام على سطحها مصباح مغلف بقماش وردي ينسفح منه ضوء باهت وكأنه ذبالة شمعة ، وعلق صورا طبيعية على الجدران انتزعها من

تقويم قديم تمثل أودية وثلوجا وجبالا ولعلها تكون في سويسرا أو كندا، وفرش الارض بسجادة تكاد تبلغ ضعفي سجادة نظيرة حصل عليها أثر مزايدة وقعت في سوق السجاد فيما كان يخترق ذلك السوق مصادفة • كانت جيدة وان لم تكن جديدة ولم يرهقه سعرها ، وقام خلال ثلاثة أيام متوالية باستعراضات دقيقة تأملية في مخازن التحف والنوادر فابتاع كؤوسا وفناجين وأكواب شاي وصحونا وملاعق وشوكات وسكاكين ذات مقابض من خشب وأشياء اخرى صغيرة نفيسة تستخدم في بيوت الموسرين ولا تقع عليها عين المرء في كل مكان • وضع كل مشترياته في خزانة زجاجية واطئة • وأصبح من دأبه ألا يغادر غرفته الا عند الضرورة لاسيما عندما اقترب الشهر من نهايته • وحين يقظته أو في منامه ينشغل ذهنه في زحزحة أحد الكراسى أو تقديم المنضدة أو أبعادها بضع انجات كيما يبدو كل شيء في أجمل صورة وأحلاها •

ويوم قبض الراتب أقام في غرفته النهار بكامله اعتبارا من الساعة الثانية عشر حيث ينتهي دوامه في المدرسة ، واذ ما بلغت الساعة السادسة سمع خبطة لدى الباب وصوتا يهمس باسمه • كان صوتها فاندفع الى الباب وفتحه فاذا هي نظيرة وفدت عليه فافسح لها ودخلت •• فبدا لها كما يشتهي لنفسه أن يبدو •• أعزب ميسور الحال يحيا في نعمة • وبحبوحة محاط بالتحف والرياش •• فلم تصدق نظيرة عينيها فبهتت على نحو مثير ، فخامرها خاطر فجائي هو أنه قد تزوج •

قالت منذهلة « ما الذي أراه » •• فأجابها نوري في ملاطفة وايناس: «أجريت تعديلا بسيطا في غرفتي» •• ودعاها الى أن تجلس فجلست صامتة وعيناها تجيلان النظر من شيء الى شيء قالت مازحة « ليس تعديلا بسيطا بل انقلابا أو شيئا غير نفسه » ثم همست مستغربة « أخشى ان تكون قد تزوجت » وابتسمت ابتسامة حزينة وسألت « هل هي هذه غرفتك ؟ »

نهض نوري من مجلسه وتقدم نحوها قائلا :

ـ انهـا غرفتي يا نظيرة وقد جعلتهـا بهذا الشكل لمناسبة سعيدة أرجو أن اوفق فيهـا •

بدت نظيرة وكأن الامر لا يعنيها • فتحت محفظتها وأخرجت رزمة صغيرة من الدنانير وضعتها على المنضدة قائلـة :

ـ خذ هذا ان تفضلت وأعد الي سجادتى وقلادتي •

قال نوري وهو يحدق مليا في عينيهـا •

ـ ليس ثمة عجلة في حسم قضية صغيرة مثل هذه • انما اود أن أسألك هل تعجبك هذه الغرفة ؟

مضت عيناها الى الجدران والسرير والمنضدة وما عليها مـن نفائس وقـالت :

ـ كل شيء حسن ولا يعوزك الا شيء واحد • هتف في ارتياح

ـ الزوجـة

نهض نوري وفتح الخزانة الحديدية وأخرج القلادة وتقدم نحـو نظيرة قائلا « دعيني أضعها على عنقك » فامتنعت وردت رأسها الى الوراء فأمرها في حزم وسلطان « لا تمانعي لقد صممت أن أضعها بيدي عـلى عنقك » •• فامتثلت ، فقام نوري بهذه العملية السـارة وهو يتلمس بأطراف أنامله عنقهـا الاملس فابتسمت في خجـل ثم أخرج السـجادة وفرشـها تحت قدميها ومال الى رزمـة الدنانير فطواها بيد ودسها فـى حقيبتها باليد الاخرى قائلا « هذه لك وكل شيء لك وما اشتريته كلـه لـك • أنت ستكونين ربة هـذا البيت سوف تعيشين معـي وأكون لك وتـكونين لي » •

ثم مد يـده واعتصر يدهـا دون أن تجرأ على رفـع رأسها لقـد دمعت عيناها واعتصمت بالصمت •

ثم أطـرق لحظة مفكرا : هل يفرحها بموضوع تقاعده •• هل يصـح أن يقول لهـا انك ستتقاضين نحـو أربعين دينارا فيما لو ترملت

مرة اخرى .. أحس أن دماء الحياة تتدفق في شرايينه ، وانه رجل قوى متمكن يتطلع الى السعادة ، وليست نظيرة غير امرأة استدعاها من أجل راحته وهنائه . ان الحياة أقوى معه من الموت . بل لا موت له بعد اليوم قال لها في تشجيع « انني اتقاضى تسعين دينارا في الشهر وعندما أتقاعد أتقاضى نحو أربعين دينارا . ان حياتك وحياتي مضمونتين الى الابد » .. فقبلها في رأسها فاستراحت الى قبلته وابتسمت .

كلهم أولادي

كان الدكان الصغير القائم في نهاية الزقاق قد عثر على من يؤجره ، فبعد أن بقي خاليا عدة أشهر هبط فيه من حيث لا يدري أحد حلاق من الحلاقين .. كانت شخصية الحلاق والدكان وأدوات الحلاقة تكون مشهدا ظريفا في بساطته وبدائيته . فالحلاق رجل قصير القامة مستدير الصلعة يذكر رأسه برأس القديسين الذين يظهرون في الصور الكنسية ، يضع على عينيه عوينات غليظة تبدو من ورائهما عيناه وكأنهما جمرتان في سبيلهما الى الانطفاء . أما أثاث دكانه فهو متنافر عتيق جمعه من المبيعات المستهلكة في محلة الميدان . والظريف أيضا ان الدكان لا مسمى له في عالم الهندسة فلا هو بالمربع ولا بالمستطيل وليس فيه جداران متوازيان ولا زاويتان قائمتان ، وبطبيعة الحال ان أشياء مثل هذه تبعد عنها الناس وكنت أنا من المبتعدين .

بعد نحو اسبوع من افتتاح هذا الدكان مررت به عن كثب وألقيت نظرة في جوفه لمحني في أثرها الحلاق فتوهم انني أريد أن احلق ولكنني مضيت في سبيلي مبتعدا ، وما أن قطعت نحو عشرين خطوة حتى أحسست أن يدا تمسك كتفي فاستدرت لارى ، فاذا الحلاق القصير ذو العينين الزجاجيتين والصلعة القديسية يبتسم في أدب ويسألني ان كنت أريد أن أحلق رأسي فهو متفرغ لي .

كانت ابتسامته أنيسة وجرس صوته هادئا مريحا كانسان اعتاد العمل في خدمة الناس منذ أمد بعيد .

قلت ـ لم يئن أوان حلاقة رأسي وعندما أشعر بمثل تلك الحاجة لم أقصد حلاقا سواك .

قال ـ حسبتك مترددا ، ودكاني ليس باهر المنظر كما ترى فأردت أن اؤكد لك استعدادي يا سيدي .

نطق بكلمة سيدي على نحو متواضع وكأنه يرجوني صدقة فتركته وانصرفت معتذرا ، الا ان صورته ظلت تراودني لعدة ساعات . فهو قصير يطاولني الى دون الكتف وبسبب من قصره تجلت صلعته اللامعة وبدت عيناه من وراء الزجاج وكأنهما عينا هر ميت .

وفي خلال الايام التالية كنت أمر بدكانه على مبعدة متحاشيا ان تقع علي عيناه ، الا انني كنت أتحرى ما الذي يفعله وكأنني جاسوس موكول الي مراقبة مجرم من المجرمين .

كان في الغالب قاعد على الكرسي يجلو الغبار عن أدواته أو واقف على الرصيف يرصد المارة ليرى أيا منهم طال شعره ولم يشرفه بزيارة وكان أحيانا يحلق لحيته بنفسه وقد تدانى كثيرا الى المرآة وكأنه يهم بنطحها بعد أن نزع عويناته ليمنح للموس مجالا في اقتطاع شعرات عارضيه .

وفجأة حل عيد من الاعياد فاذا بي كثيف الشعر قد تطاول سالفاى وافترش الشعر مؤخرة عنقي وتمردت خصل كثيرة أن تخضع لمشيئة المشط . كنت عازما على السفر ولا أود أن أحمل معي رأسا مثلا بالشعر وبالغبار ، فمررت بدكاكين الحلاقين الذين أنس الى مرآهم فاذا بهم جميعا غرقى بالزبائن حتى اولئك الذين اعتادوا شح الارزاق .. فتحيرت ساعة من زمن حتى لمعت في رأسي صلعة الحلاق الجديد فقلت في عزم لاقصدنه وأحلق رأسي ولحيتي بين يديه وأرى ما الذي يفعله في عشية العيد .

توجهت نحو دكانه بقدم راسخة مطمئنة فوجدته يحلق صبيا قد أقعده على خشبة ممدودة بين ذراعي الكرسى حتى أمسى الصبي في مستوى المرآة ، وكانت هناك امرأة جالسة في الزاوية القصية حدست أنها ام الصبي وكان هناك صبيان آخران ينتظران دورهما ، وما أن وقع بصري على المشهد حتى نكصت راجعا وقد امتدت احدى يدى لدفع الباب ، فانبعث من الدكان صوت متضرع حاد :

ـ سيدي ، تفضل بالله عليك ـ قلت ـ معك زبائن ولا أود أن أنتظر ـ ..

قال ـ ليسوا زبائن يا سيدي كلهم أولادي وهذه امهم ـ فأمر الصبي أن يجلو عن الكرسى وهو نصف محلوق الرأس فامتثل للامر وهو فرح مبتسم ، فجلست وأنا كاره بسبب انني أخذت مكان الصبي قبل أن تتم حلاقته واني أسلمت رأسى لحلاق تأبى الناس حلاقته حتى في الاعياد ..

قال الحلاق في انشراح مرة بعد مرة ـ شرفتنا وما أحلى قدومك ، انك زبون فاضل

حلق رأسى ببط واعتناء مبالغ فيه وكانه في مباراة ، ولا يفتأ يسألني ان كنت أود أن أخفف من شعري في هذا الموضع أو ذاك ويندفع لتنفيذ الامر بهمة مفتعلة وحرص شديد .

كانت زوجته وأولاده يخالسون الي النظر وكأنهم يرونه لاول مرة يحلق شخصا غريبا وكان هو فخور كمن سيثبت صواب نظرية ما ، وهي انه جدير أن يكون حلاقا وجديرا أن يرضي زبونا مثلي .

ولما هم بالتقاط الموس لاحظت أن يده ترتعش فتململت في مكاني متمتما ـ بالله عليك لا أريد هذا ـ

أمحت امارات الارتياح عن الوجوه جميعا وفقد الحلاق بشاشته وأخذ يلوح بالموس فوق رأسى قائلا ـ اطمئن لن يحدث ما يسوءك ..

قلت ـ ليس هذا ما أعنى انما أنا مريض ينتابني الصرع اذا مر الموس وجهي ..

هتف باقتناع وأسف ـ هكذا ... فلتكن حلاقتك من غير موس ـ واخلى الموس جانبا الا انه لم يستعد بشاشته ولم يتحرر من وقع خيبة مريرة ألمت به ، وعندما غادرت دكانه كان الوجوم يرتسم على وجوههم جميعاً . لكم كان يسرهم لو جرب موساه في وجهي فهي الاداة التي تمتحن بها مهارته ، ولكنه لم ينعم بالتجربة ولم ينعم بنجاحها .

ولكن ترى هل صدقوا دعواى فاطمئنوا اليها أم تيقنوا انه حلاق فاشل مرتعش اليد .. الذي أدريه أن الدكان أقفلت مرة اخرى ولم يعد ثمة حلاق ..

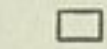

نفقات الدفن

لم يكن ثمة داع لايما قلق في موضوع تدبير نفقات دفن مهدية العجوز البالغة السبعين من عمرها • كان ابناها وزوجتاهما قد ارتاحوا للنبأ السار الذي نقله حميد الابن الاكبر عندما اكتشف ان امه قد أخفت تحت وسادتها المستطيلة علبة من علب السيكائر المعدنية ملفوفة لفا محكما بعدد من الخرق البالية •

استيقن الابن ان مثل هذه العلبة الملفوفة تحفظ فيها العجائز عادة مقدارا من مال يزعمن انه لنفقات دفنهن والتبرع للفقراء والمرتلين والقراء •

قال لاخيه يطمأنه ـ لن تتكبد فلسا واحدا •• لديها مال كاف فيما لو قضت نحبها •

وسرى هذا الاطمئنان الى الزوجتين الجزعتين على مذخراتهما الصغيرة وارتسم الرضا على محياهما وتوقعتا فوق ذلك أن يكون للعجوز وفر اضافي يكون من نصيبهما • أخذتا تتشاوران وتتهامسان وقد رأتا غير مرة العلبة الكبيرة المدسوسة تحت وسادة عمتهما •• قالت الزوجة الصغيرة ـ ترى أي حال هو حالنا لو لم يكن لديها مثل هذه العلبة ، لتحتم علينا أن نخرج آخر فلس بين أيدينا ونضعه في يد الكفان والدفان • انها لمصيبة أحسنت العجوز صنعا بخلاصنا منها ـ • وكانت الزوجة الصغيرة تراهن الكبيرة مدعية أن مثل هذه العلبة الكبيرة المحكمة

الشد لا يمكن أن يكون بداخلها أقل من ألف دينار • وعندما تأخذ العجوز سنة من الكرى هي أشبه بالغيبوبة تتسلل الى فراشها وتمد يدها تحت الوسادة وتتحسس العلبة وتضغطها بين آناملها فتفتح العجوز عينيها مذعورة خائفة وتتساءل بصوت ضعيف ـ من هو هذا •• أي شيء تريد ؟ـ

فترتبك الزوجة ارتباكا كبيرا وتتمتم في خجل ـ انني أرتب لك فراشك وأسوى وسادتك وأرفع الاوساخ ، نامي في راحة ـ• حتى ضاقت العجوز ذرعا بهذا الازعاج وفطنت الى ما تريده كنتها فصاحت حانقة وقد اتسعت عيناها واحمرتا ـ ما هذا الالحاح أيتها اللصة • انها نفقات تشييعي ودفني تسلبينها مني كما سلبت ولدي من قبل ـ فخجلت الكنة الصغيرة وأقلعت عن هذا التسلل الخبيث •

وفي المساء عندما يختلى الاخوان لوحدهما يحتسيان الشاى فى السقيفة الخارجية تشرع آمال الاخ الكبير في التوسع حول ثروة امه العجوز يقول في تبجح زائف ـ انني أعرف عن أمر هذه العلبة منذ زمن بعيد جدا ومنذ كنت طفلا في حياة والدي ، كان من عادتها أن تطوي كل ورقة نقدية تقع في أيديها وتدسها في العلبة دون أن يعلم بها أحد ويروى الاخ الصغير حكاية صغيرة عن امه ، فقد ترصدها ذات مرة منذ سنتين واختفى وراء الباب في الظلام ورأى اليها تفتح العلبة وتضع فيها ورقة ما •

ينتهى هذا الحديث بالتعقل الذي يمارسه الاخ الكبير فيهز رأسه ويثبت عينيه في السقف ـ انها مشيئة الله ، نكفنها بكفن جيد ونضعها في تابوت جديد خاص ونستأجر سيارتين احداهما للتابوت والاخرى للمشيعين ونضعها في قبر لائق قريب من باب المقبرة ولسوف نوصى بناء يقيم عليها ضريحا يحمل رخامة عليها اسمها ولقبها وعمرها كيما يفتقد قبرها فيما بعد ونهيىء القهوة ونوزعها على المعزين مع السيكائر ونأتى بقارىء يرتل القرآن فتستريح عظامها في القبر ولا يزعجها ابليس الذي يترصد الموتى في أيامهم الاولى فيغريهم بالجحود والخروج على ارادة

الله بما ينفثه في أذهانهم من كلمات الكفر • وأريد أن توصى زوجتك، ألا تضايق امنا بأعمال صبيانية ـ فيؤكد الصغير ـ انني تخاصمت معها بالامس من أجل هذا العمل الشائن •

وفي غرفة العجوز تجتمع الزوجتان متقابلتين عند سريرها تنظران مليا في عينيها الخابيتين ووجهها الشاحب العميق الغضون وتنصتان الى أنفاسها الضعيفة وتنهداتها اليائسة ، واذا ما يخمد صوتها يتبادر الى ذهنيهما في الحال انها قد ماتت فتقومان في حذر مثل قطتين خبيثتين تلمسان وجهها وصدرها وتنظر احداهما في وجه الاخرى مستفسرة « أهي حقا ميتة » ويطول هذا الاستفسار بضع ثوان ثم تتنهد العجوز بغتة وتفتح عينيها فتعودان الى مكانيهما مطرقتين حائرتين تتمتم الزوجة الكبيرة « انها تنازع لشد ما هي عسيرة هذه الساعة يرى فيها الانسان صنوف العذاب •• » فتجيب الاخرى في اشفاق كاذب « عسى الله ألا يطيل عذابها » وكان في نفسها هوس كبير لا معنى له أن تسطو على العلبة قبل سواها وترى الى محتوياتها •

وفي ساعات الليل عندما تأوى كلتاهما الى زوجيهما يخطر على بالهما هذا السؤال ـ ترى كم دينار في العلبة ـ تسأل الصغيرة زوجها «كم تظن في العلبة ، أهو مقدار كبير أم صغير ؟» فيجيبها في ملل ـ لست أدرى عسى أن يكون صغيرا فنستولى على ما لديك من مال صغير ـ فتمتعض وتلوذ بالصمت أما الاخرى فتردد في رجاء ـ لو كان لديها مال وفير أمكننا اعادة تعمير هذا البيت وتوسيعه •• فينهرها زوجها « اصمتي لا يصح التمادي في مثل هذا الحديث ليكن ما يكون • » فتعود تثرثر « ولكن لا داعي للتبذير من اجل تشييعها ، مثلها عجوز فانية يكفيها كفن رخيص وقبر متواضع • »

وذات ليلة تحشرجت أنفاس العجوز وتيبس حلقومها وبلغت درجة النزاع فصارت الكنتان تقطران الماء في فمها مناوبة كل ساعة من الزمن ومع الفجر فاضت روحها حيث كانت الكنة الصغيرة الى جوارها فاحتارت

بين أن تمد يدها تحت الوسادة وتقبض على العلبة أم تهرع الى زوجها توقظه وتنقل اليه الخبر ولكنها لم تجسر على فعل شيء ، هالها أن تكون مع انسان ميت في مكان واحد .. نظرت نحو الباب فوجدته نصف مغلق والظلام يتكدس في الخارج، تحولت أنظارها نحو الميتة فأرعبها مرآها

كان فمها قد انفغر وبانت لثاتها السوداوان المخسوفتان يلتصق في أعماقه لسانها اليابس المتشقق وقد غدت عيناها زجاجيتين أشبه بأعين الخروف المذبوح الفاقد الحياة . كانت تعوزها الجرأة على مواجهة الموتى فجمعت أطراف شجاعتها وهرولت الى الخارج فاصطدمت عند الباب بالكنة الكبيرة هتفت في جزع « من هذه ؟ » واذ مارأتها جيدا خجلت وتلعثمت وقالت في ارتباك « انها قد ماتت احذري أن تدخلي الغرفة لئلا تخافين » أجابت الزوجة الكبيرة في ابـاء وجـرأة « انني لا أخاف الموتى » وهمت أن تدخل فاعترضتها الصغيرة « يجب أن تنتظري حتى أدعو زوجي » فدفعتها الكبيرة جانبا مستهزئة بها « ما هذا اللغو انها ميتة وانها امرأة مثلي يجب أن أكون الى جوارها أنزع عنها قوطتها واسبل ذراعيها وأغلق عينيها وأربط فكيها بمنديل ، ليس مثلك جبانة تخاف أن تؤدي مثل هذا الواجب النبيل » .

تراءى للزوجة الصغيرة ان غريمتها ستتناول العلبة وتفتحها ولسوف يكون لها مجال للتلاعب واختلاس مقدار من المال تخفيه في ثيابها ..

ـ اذن اعطني العلبة وافعلي بالميتة واجبك النيل .

ـ العلبة لا تعود لك

ارتفع صوتهما وكادتا تتدافعان فاستيقظ الاخوان مزعوجين مضطربين واذ ما علما ان امهما قد ماتت من غير أن تذرف زوجتاهما دمعة واحدة ولم تبكيان وتعولان تكرم كل منهما بلطمة على وجه زوجته وبعد نصف ساعة اجتمع شمل العائلة من أجل جرد ثروة العجوز الميتة . أخذ الاخ الكبير العلبة وشرع ينزع عنها الخرق واحدة بعد واحدة والابصار مسمرة اليه في لهفة وانتظار حتى انتهى الى غلاف العلبة فعالجه بجهد

وكان صدئا معوجا أنشب فيه أظفاره وجذبه بقوة فانفتح عن طيات من أوراق نقدية ملكية صغيرة القيمة أبطلت منذ حين ولم تعد تساوى شيئا.

تهدلت أذرعهم في عجز ويأس وراحوا يقلبون النظر بعضهم فى وجه بعض .

قال الاخ الاكبر في نبرة الواعظ .. « أوراق باطلة لاتساوى درهما واحدا ولا تصلح حتى ان يكتب عليها المرء رقم باب بيته » ثم تنهد وقال « كانت المسكينة مغفلة لا تفهم شيئا ولكن ما الذي ينبغي أن نفعله ، التشييع لا يؤجل بأية حال وليس ثمة جنازة تبقى في البيت » .

أطرقت الزوجتان في حسرة وبلادة فالتفت الكبير الى زوجته منتهرا اياها « لا تقفى كالبلهاء اخرجي ما عندك من مال وان اعوزنا شيء التمسناه من الجيران » والتفت الاخ الصغير الى زوجته وكانت في حالة ذهول وانصعاق فصاح بها « أنت ايضا ليس من بد دون هذا التدابير » فخرجت الزوجتان تجران أذيال الخيبة تهمهمان وتبربران وقالت الزوجة الصغيرة وهي تغالب انفعالها :

« انها مكيدة مدبرة أرادت العجوز أن تشغلنا بعلبتها حتى نحسن اطعامها ومداراتها ريثما تموت وبعده ليكن الطوفان » وراحتا في غيط تبحثان في الجرارات عن بقايا نقود قليلة تخلفت عن مسواقهما الصباحي ذهبت جميعها في شراء كفن للعجوز وحملها الى مثواها الاخير بتواضع واقتصاد وعويل قليل ومن غير رخامة فوق القبر ولا مرتل ولا قارىء ..

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٦	١٥	بد	يد
٥٨	٢	ونوتيف	وتوثيق
٥٩	١٥	دمع	دفع
٥٩	٢١	قلادتك	قلادتك
٦٣	٥	فسه	نفسه
٦٣	٢٣	قريب	قريبا
٦٣	٢٦	تنميتها	تنميتها

المحتوى

	الصفحة
١ ـ عندما تكون الحياة رخيصة	١
٢ ـ مغامرة في عيد الميلاد	٩
٣ ـ تجربة جديدة	٢٩
٤ ـ أكلت الكلاب معطفي	٣٩
٥ ـ الرهينة	٤٥
٦ ـ كلهم أولادي	٧٣
٧ ـ نقات الدفن	٧٩

وزارة الثقافة والاعلام

مديرية الثقافة العامة

صدرت عن مديرية الثقافة العامة في وزارة الثقافة والاعلام المطبوعات التالية :

	الثمن فلس دينار
اولا ـ سلسلة كتب التراث	
١ ـ الدر النقي في علم الموسيقي : للقادري الرفاعي الموصلي وتحقيق الشيخ جلال الحنفي	٥٠ ـ
٢ ـ ديوان عدي بن زيد العبادي : تحقيق وجمع السيد محمد عبدالجبار المعيبد	٣٠٠ ـ
٣ ـ مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء لياسين بن خيرالله العمري ـ تحقيق السيد رجاء السامرائي	٣٠٠ ـ
٤ ـ اصحاب بدر : منظومة الشيخ حسين الغلامي تحقيق وشرح الاستاذ محمد رؤوف الغلامي	٣٥٠ ـ
٥ ـ ديوان ليلى الاخيلية : عني بجمعه وتحقيقه الاستاذان خليل وجليل العطية .	٢٠٠ ـ
٦ ـ الدر المنتثر في اعيان القرن الثاني عشر والثالث عشر للحاج علي علاءالدين الالوسي ، وتحقيق الاستاذين جمالالدين الالوسي وعبدالله الجبوري	٣٥٠ ـ
٧ ـ الجمان في تشبيهات القرآن : لابن ناقيا البغدادي تحقيق الدكتورأحمد مطلوب والدكتورة خديجةالحديثي	٥٠٠ ـ
٨ ـ ديوان العباس بن مرداس : تحقيق يحيي الجبوري (تحت الطبع)	
٩ ـ رسالة الطيف : لبهاءالدين علي ابو الحسن الاربلي : تحقيق عبدالله الجبوري (تحت الطبع)	
١٠ـ خصائص العشرة الكرام : للزمخشري : تحقيق الدكتورة بهيجة الحسني . (تحت الطبع) .	

	الثمن فلس دينار

ثانيا ـ سلسلة الكتب المترجمة

١ ـ الاصطلاحات الموسيقية : تاليف أ٠ كاظم
نقله الى العربية عن التركية : ابراهيم الداقوقي ١٠٠ ـ
ملحق ـ١ـ المستدرك على الاصطلاحات الموسيقية :
للمؤلف نفسه وتعريب ابراهيم الداقوقي ١٠٠ ـ

٢ ـ رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر
نقله الى العربية عن الالمانية الدكتور محمود حسين الامين
قدم له وعلق عليه السيد سالم الآلوسي ٢٠٠ ـ

٣ ـ الحياة في العراق منذ قرن : للمسيو بيير دى فوصيل٠ نقله
عن الفرنسية الدكتور أكرم فاضل (تحت الطبع) ٠

٤ ـ في زنزانات اسرائيل ـ مذكرات النقيب التركي
شهاب طان : ترجمة ابراهيم الداقوقي ١٢٠ ـ

٥ ـ الاساطير في بلاد ما بين النهرين : تاليف صموئيل
هنري هوك وترجمة يوسف داود عبد القادر ١٢٥ ـ

ثالثا ـ سلسلة الكتب الحديثة

١ ـ رائد الموسيقى العربية : تاليف عبدالحميد العلوجي ٢٠٠ ـ
٢ ـ معجم الموسيقى العربية : تاليف الدكتور حسين على محفوظ ٢٠٠ ـ
٣ ـ جولة في علوم الموسيقى العربية: تاليف الاستاذ ميخائيل
خليل الله ويردي ٥٠ ـ
٤ ـ الحرية : تاليف الاستاذ ابراهيم الخال ١٠٠ ـ
٥ ـ موجز دليل آثار سامراء : اعداد سالم الآلوسى ٥٠ ـ
٦ ـ موجز دليل آثار الكوفة : اعداد سالم الآلوسى ٥٠ ـ
٧ ـ النظام القانوني للمؤسسات العامة والتأميم في القانون
العراقي : تاليف الاستاذ حامد مصطفى ٣٥٠ ـ
٨ ـ على محمود طه ٠٠٠ الشاعر والانسان :
تاليف المرحوم الاستاذ أنور المعداوي ٢٠٠ ـ
٩ ـ مؤلفات ابن الجوزي : تاليف عبدالحميد العلوجي ٢٥٠ ـ
١٠ـ أبو تمام الطائي : تاليف الاستاذ خضر الطائي ١٥٠ ـ
١١ـ من شعرائنا المنسيين : تاليف الاستاذ عبدالله الجبوري ٢٠٠ ـ

	الثمن فلس	دينار
١٢ـ محمد كرد علي : تاليف الاستاذ جمال‌الدين الآلوسي	٣٠٠	ـ
١٣ـ أدباء المؤتمر : للاستاذ عبدالرزاق الهلالي	٢٠٠	ـ
١٤ـ بدر شاكر السياب : للاستاذ عبدالجبار داود البصري	١٥٠	ـ
١٥ـ الواقعية في الادب : تاليف الاستاذ عباس خضر	٢٠٠	ـ
١٦ـ شعراء الواحدة : للاستاذ نعمان ماهر الكنعاني	١٥٠	ـ
١٧ـ لقاء عند بوابة مندلبوم : للاستاذ احمد فوزي	٢٠٠	ـ
١٨ـ خسرناها معركة .. فلنربحها حربا : للاستاذ فيصل حسون	٢٠٠	ـ
١٩ـ عطر وحبر : تاليف عبدالحميد العلوجي	٣٥٠	ـ
٢٠ـ الدبلوماسية في النظرية والتطبيق : تاليف الدكتور فاضل زكي محمد .	٣٠٠	ـ
٢١ـ من عيون الشعر مختارات الاستاذ ناجي القشطيني	٤٥٠	ـ
٢٢ـ مع الكتب وعليها ـ للاستاذ عبدالوهاب الامين	٢٠٠	ـ
٢٣ـ مقال في الشعر العراقي الحديث : للاستاذ عبدالجبار داود البصري	١٥٠	ـ
٢٤ـ مع الاعلام : للاستاذ جميل الجبوري	٣٠٠	ـ
٢٥ـ محاكمات تاريخية : بقلم الاستاذ مدحة الجادر	١٢٠	ـ

رابعا ـ سلسلة الثقافة العامة

١ ـ المواسم الادبية عند العرب : تاليف عبدالحميد العلوجي	١٠٠	ـ
٢ ـ الادباء العراقيون المعاصرون وانتاجهم : تاليف السيد سعدون الريس	٥٠	ـ
٣ ـ تطور الحركة الوطنية التونسية منذ الحماية حتى الاستقلال : تاليف الدكتور لؤى بحرى (نفدت نسخه)	٥٠	ـ
٤ ـ العلم للجميع : اعداد كامل الدباغ	٥٠	ـ
٥ ـ الدين والحياة ـ تاليف الشيخ محمود البرشومي	١٥٠	ـ

	الثمن فلس دينار
خامسا ـ سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث	
١ ـ اللهب المقفى ـ شعر حافظ جميل	٣٥٠ ـ
٢ ـ غفران ـ شعر محمد جميل شلش	٢٥٠ ـ
٣ ـ صوت من الحياة : شعر حازم سعيد أحمد	٢٥٠ ـ
٤ ـ مرفأ السندباد : شعر مؤيد العبدالواحد (تحت الطبع)	
سادسا ـ سلسلة القصة والمسرحية	
١ ـ الظامئون : للاستاذ عبدالرزاق المطلبي	٢٥٠ ـ
٢ ـ عمان لن تموت : للاستاذ عبدالوهاب النعيمي	١٠٠ ـ
٣ ـ من مناهل الحياة : للاستاذ الياس قنصل	١٠٠ ـ
٤ ـ رماد الليل : للاستاذ عامر رشيد السامرائي	١٥٠ ـ
٥ ـ الهارب : للاستاذ شاكر جابر	١٠٠ ـ
٦ ـ خارج من الجحيم ـ للاستاذ صادق راجي	١٢٠ ـ
٧ ـ عندما تكون الحياة رخيصة ـ للاستاذ ادمون صبري	١٢٠ ـ

سابعا ـ مطبوعات باللغات الاجنبية

Poetry of Resistance in Occupied Palestine.
Translated By: Sulafa Hijjawi.

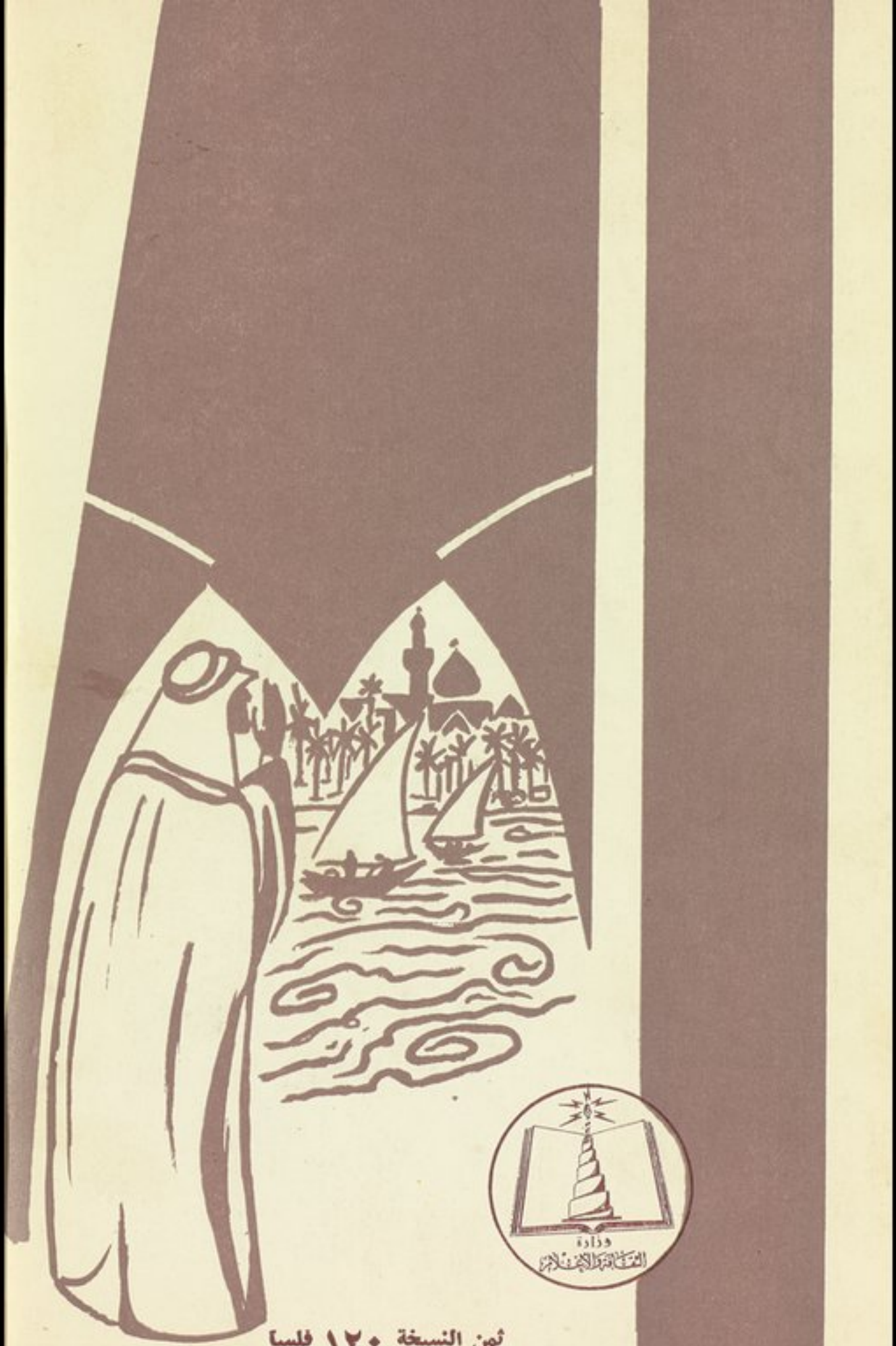

وزارة
الثقافة والإعلام

ثمن النسخة ١٢٠ فلسا

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0036760927

PJ
7677
.I7
7

APR 30 1970

pf - 7677 - .17

7